

العنوان:	الجملة الاخبارية في الجزء الثامن والعشرين من القرآن الكريم : دراسة تركيبية دلالية
المؤلف الرئيسي:	بدران، جمالات رجا رشيد
مؤلفين آخرين:	الحمد، علي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2003
موقع:	اربد
الصفحات:	1 - 299
رقم MD:	566679
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة اليرموك
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، اعراب القرآن، النحو العربي، القواعد اللغوية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/566679

الفصل الثاني

الجملة ذات الخبر الطلبي

الفصل الثاني

الجملة ذات الخبر الطلبي

تكررت الجملة الطلبية في هذا الجزء القرآني الكريم كثيراً ، وبشكلٍ لافتٍ للنظر ، حيث بلغ عدد الآيات الطلبية فيه مائة وخمس جملٍ قرآنية . توزعت في أنماطٍ متعددة وأشكالٍ متنوعة ، أكسبت النصَّ القرآنيَّ جمالاً معنوياً وشكلياً موسيقياً لا بدَّ أن نلاحظه بعد التعمق في الدراسة كما سنرى .

أمّا الطلب في اللغة فمصدر مأخوذ من الفعل " طَلَبَ " ، والطلبُ : " محاولة وجدان الشيء وأخذه ، والطلبَةُ ما كان لك عند آخر من حق تطالبه به ، والمُطالِبَةُ أن تطالب إنساناً بحقٍ لك عنده ، ولا تزال تتقاضاه وتطالبه بذلك وطَلَب الشيء يطالبه طلباً واطلبه على "افتعله" وتطلبه حاول وجوده وأخذهُ . . . وطَلَب إليَّ طلباً رغبً وأطلبه أعطاه ما طلب ، وأطلبهُ أَلجأهُ إلى أن يطلب وهو من الأضداد . والطلبية بكسر اللام ما طلبته من شيء ، وفي حديث نُفَادَةَ الأسدِيّ ، قلت يا رسول الله اطلب إليَّ طلبةً ، فإني أحب أن أطلبكها . . . وأطلب الماء إذا بعد فلم ينل إلا بطلب ، وبنر طلبوب بعيدة الماء ، وآبار طلب " .^١

^١ لسان العرب . ابن منظور المصري . مادة " طلب " .

أما اصطلاحاً : فهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ، ولا يعرف مدى صحته ، فيحسن عندئذ أن تؤكد له الكلام بمؤكد واحد لتزيل منه الشك ، وتمحو التردد ، ويتمكن الخبر من نفسه !

وبهذا نرى كيف أن بلاغيينا قد وفقوا في اختيار مصطلحهم ؛ إذ إن الطلب لغة محاولة وجدان الشيء ، واصطلاحاً محاولة المخاطب طلب تأكيد الخبر . وعليه فإن الجامع في كليهما طلب وجدان الشيء ، مع مراعاة الاستخدام اللغوي والاصطلاحي .

الجملة ذات الخبر الطلبي الفعلية الماضوية المثبتة

تكررت الجملة الطلبية الفعلية الماضوية المثبتة في هذا الجزء القرآني الكريم ، وقد كان عددها اثنتي عشرة جملة قرآنية ، وقد جاءت كما تبينها الجداول الآتية :

أولاً : النمط الأول :

قد + ماضٍ

وقد انقسم هذا النمط إلى أشكال ثلاثة نستطيع ملاحظتها من استقراء النماذج

الموجودة في النموذج السابق وهي على النحو الآتي :

١ انظر ذلك في : مفتاح العلوم . اسكافي . ص ١٧٠ . والإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني . ص ٤٤ . وعلم المعاني ، عبد العزيز عتيق ، ص ٥٥ . ومعجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، ج ٢ ، ص ٤٦٥ . وعلم المعاني دراسة وتحليل ، كريمة محمود أبو زيد ، ص ٤٢ . والبلاغة فنونها وأفانها ، فضل حسن عباس ، ص ١١٥ .

الشكل الأول : "قد" المجردة غير المقترنة بأي حرف سابق عليها سواء أكان

الحرف الفاء أم الواو أم غيرهما ، وقد تكرر هذا الشكل في هذا النمط فشكل ما

يساوي سبع جمل قرآنية ، يبيتها الجدول الآتي :

الرقم	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الطلبية الفعلية الماضية المثبتة
١	المجادلة	١	قد سمع الله قول التي تجادلك
٢	المتحنة	٤	قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم
٣	الطلاق	٣	قد جعل الله لكل شيء قدراً
٤		١٠	قد أنزل الله إليكم ذكراً
٥		١١	قد أحسن الله له رزقاً
٦	التحريم	٢	قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم
٧		١٣	قد يئسوا من الآخرة

التحليل :

جاءت " قد " المجردة في هذه المواضع في موقعين إعرابين :

وقعت "قد" في صدر جملة ابتدائية في ست آيات ، وهي الآيات التالية :

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾ ، ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ ، ﴿قد

جعل الله لكل شيء قدراً﴾ ، ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾ ، ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ ،

﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ .

ووقعت "قد" في صدر جملة الصفة ، في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾^١ .

وقد تعرب جملة ﴿ قَدْ يَئِسُوا ﴾ . . . حالاً ، لأن صاحبها نكرة مخصوصة بالوصف ، وهو جائز^٢

الشكل الثاني : قد المقترنة بالواو ، وقد تكرر هذا الشكل في هذا النمط مرتين فشكل جملتين قرآنيتين يبينها الجدول الآتي :

الرقم	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الطلبية الفعلية الماضية المثبتة
١	المجادلة	٥	وقد أنزلنا آيات بينات
٢	المتحنة	١	وقد كفروا بما جاءك

التحليل :

وقد جاءت " قد " المقترنة بالواو في هذه الآيات في موقع إعرابي واحد هو الحال، وفي ذلك قال أبو السعود : " ﴿ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ حال من واو ﴿ كُتِبُوا ﴾^٣ ، قبلها في قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُتِبُوا ﴾ .

ويرى البصريون وجوب دخول "قد" إلا الأخفش على الماضي الواقع حالاً ، ولا بدّ في الماضي المثبت من وجودها^٤ . وهذا بخلاف مذهب الكوفيين لأنهم لا

^١ سورة التحريم . الآية ١٣ .

^٢ مع لبوامع . السيوطي ، ج ٢ . ص ٢٢ .

^٣ تفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢١٨ .

^٤ الفوائد الضيائية ، الجاسي ، ص ٣٩٤ . وانظر المقدمة الجزولية ، الجزولي ، ص ٩٢ .

يوجبون "قد" ظاهرة ولا مقترنة ، نحو قوله تعالى ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾^١ ، فقالوا لا تحتاج لذلك ؛ لكثرة وقوعها حالاً والأصل عدم التقدير لاسيما فيما كثر استعماله^٢ .

الشكل الثالث : قد المقترنة بالفاء ، وقد تكرر هذا الشكل في هذا النمط ثلاث مرات ، فشكل ما يساوي ثلاث جمل قرآنية ، يبينها الجدول الآتي :

الرقم	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الطليية الفعلية الماضية المثبتة
١		١	فقد ضلّ سواء السبيل
٢	الطلاق	١	فقد ظلم نفسه
٣		٤	فقد صغت قلوبكما

التحليل :

جاءت " قد " المقترنة بالفاء في هذه الآيات في موقع إعرابي واحد هو جواب شرط ظاهر .

" قد " كما جاء في لسان العرب : " مخفف " ، كلمة معناها التوقع قال الجوهري : قد حرف لا يدخل إلا على الأفعال . قال الخليل : هي جواب تقوم ينتظرون الخبر ، أو تقوم ينتظرون شيئاً ؛ تقول : قد مات فلان ، ولو أخبره وهو لا ينتظره لم يقل قد مات ؛ ولكن يقول : مات فلان . وقيل : هي جواب قولك : لمّا يفعل ، فيقول : قد فعل ، قال النابغة :

١ سورة النساء ، الآية ٩٠ .

٢ مغني اللبيب . ابن هشام ، ص ٢٢٩ .

أَفَدَ التَّرَحُّلُ غَيْرَ أَنَّ رِكَابَنَا لَمَّا تَزَلُّ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ

أَيَّ وَكَأَنَّ قَدْ زَالَتْ ، فحذف الجملة .

وقد" حرف يوجب به الشيء ، كقولك : قد كان كذا وكذا ، والخبر أن تقول :
كان كذا وكذا ، فأدخل "قد" توكيدا لتصديق ذلك ، قال : وتكون "قد" في موضع تشبه
ربما ، وعندها تميل "قد" إلى الشك ، وذلك إذا كانت مع الياء والتاء والنون والألف
في الفعل " ١ .

أما "قد" عند النحويين ؛ فقد ذكر سيبويه أنها من الحروف التي لا يليه الفعل إلا
مظهراً ٢ . وذكر الزمخشري أنه لا يجوز الفصل بينها وبين الفعل إلا بالقسم ؛
كقولك : قد والله أحسنت ٣ . ويعلل ابن يعيش جواز الفصل بالقسم " لأن القسم لا يفيد
معنى زائداً ، وإنما هو لتوكيد معنى الجملة ، فكان كأحد حروفها " ٤ .

ويذهب المالقي إلى أنه لا يجوز الفصل بينها وبينه إلا في الضرورة الشعرية ٥ .
وقد وضَّح ابن هشام وذكر بالتفصيل أنها تأتي على وجهين : حرفية واسمية وهي
على وجهين اسم فعل واسم مرادف لحسب ٦ . وقد فصل تعريف "قد" الحرفية وقال :

١ لسان العرب ، ابن منظور ، مادة "قد" .

٢ انظر الكتاب ، ج ١ ، ص ٩٨ .

٣ انظر شرح المفصل ، ج ٨ ، ص ١٤٨ .

٤ المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ١٤٨ .

٥ رصف المبانى في شرح حروف المعاني . المالقي ، ص ٤٦ .

٦ للمزيد انظر معنى التيبب . ابن هشام . ٢٢٦ .

"فمختصة بالفعل المتصرف الخبري المثبت* المجرد من جازم وناصب وحرف تنفيس ، وهي معه كالجزء ؛ فلا تفصل منه بشيء ، اللهم إلا بالقسم ، وقد يحذف بعدها لدليل كقول النابغة :

أَفِدِ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنَّ رُكَابَنَا لَمَّا تَزَلْ بِرِحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدْ
أَيَّ وَكَأَنَّ قَدْ زَالَتْ^١ .

ويفيد هذا الحرف ثلاثة معانٍ إذا دخل على الجملة الماضوية ، وهي :

١ . التحقيق والتأكيد .

٢ . تقريب الماضي من الحال .

٣ . التوقع^٢ ، ويقصد به أنها " تأتي تصديقاً أو تأكيداً لخبرٍ أو لفعلٍ مُنتظَرٍ

الوقوع " ^٣ . وأفهم معنى التوقع : أنها لا تفيد توقع الحدث إلا لمن كان

يتوقعه ، فهي تفيد التأكيد لمن كان يتوقع حدوث الحدث ، وستأتي

مناقشتها . ويرى الباحث مراد رفيق البياري أن هذه المعاني الثلاث

تتضمن معنى التوكيد^٤ .

* ويرفض مؤلف النحو الوافي شرط الإثبات في المضارع المنفي بحرف لا^١ ، ج ١ ، ص ٥٢ .

١ ابن هشام ، مغني النيب ، ص ٢٢٧ .

٢ انظر أساليب التأكيد في اللغة العربية ، إلياس خيب ، ص ٢٥٧ .

وانظر حاشية محيي الدين شيخ زاده ، محمد القوجوي ، ج ٨ ، ص ١٣٢ .

٣ أساليب التأكيد في اللغة العربية ، إلياس خيب ، ص ٢٥٧ .

٤ أسلوب التوكيد في الحديث النبوي ، مراد رفيق ، ص ٩٢ .

أمّا التحليل اللغويّ المعاصر فيقول : إنّ قد عنصر زيادة دخلت على الجملة التوليدية التحويلية وهي لا تؤثر على الفعل الذي يليها وتفيد معنى ، وتنقل الجملة من توليدية فعلية إلى تحويلية فعلية لأنها عنصر تحويل ، فنقول ﴿ قد أنزل الله إليكم نِكْرًا ﴾^١ أصلها أنزل الله إليكم نِكْرًا ، ثم دخلت قد لتفيد التحقيق والتوكيد .

ومن مجموع الآيات التي وردت على هذه الصورة في هذا الفصل ارتأيت أن أحلّل أنموذجاً واحداً على هذه الصورة ، وهو قوله تعالى ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك ﴾ لتعميق الشرح والتوصل إلى تحقيق مرادي من كفاية هذا الحرف والآية حقهما ، ولأنّ الخلاف الذي دار حول هذه الآية واسع أريد أن شاء الله أن أجلي هذه الإشكالية . يقول الزمخشري : " فإن قلت : ما معنى قد في قوله ﴿ قد سمع ﴾ قلت : معناه التوقع . لأن رسول الله ﷺ والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتهما وشكواهما " . ويرى البيضاوي : " وقد تشعر بأن الرسول عليه السلام أو المجادلة يتوقع أن الله يسمع مجادلتهما وشكواهما " .^٢ ويرى الشيخ زادة أن كلمة قد لا بد أن تفيد معنى التحقيق ، ثم إنه قد يُضاف إليه في بعض المواضع إذا دخلت على الماضي التقريب ، من الحال مع التوقع ، فتدل على أن الكلام المصدر بها المتوقع للمخاطب واقع عن قريب ، كما تقول لمن يتوقع ركوب الأمير : قد ركب ، أي :

^١ سورة الطلاق . الآية ١٠ .

^٢ الكشف ، الزمخشري ، ج ٤ ، ص ٧٠ .

^٣ حاشية محيي الدين بن زادة . محمد القوجوي . ج ١ ، ص ١٣٢ .

حَصَلَ عَنْ قَرِيبٍ مَا كُنْتَ تَتَوَقَّعُهُ . وكلمة "قد" تدل على ثلاثة معانٍ : التحقيق والتوقع والتقريب " ١ . " وفي الصحاح : "قد" حرف لا تدخل إلا على الأفعال ، وهي جوابٌ لقولك : لَمَّا يَفْعَل . وزعم الخليل أَنَّ هذا لمن ينتظر الخبر ، تقول : قد مات فلان لمن يتوقع موته ، ولو أخبرت به وهو لا ينتظره لم تقل : قد مات فلان ، ولكن تقول : مات " ٢ . ويقول المالقي : " فتكون مع الماضي حرف تحقيق نحو قولك : قد قام زيد ، في تقدير جواب من قال : هل قام زيد ؟ أو لم يَمْ ، فـ " قد " في تقدير الجواب حَقَّقَت الْقِيَامَ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ ٣ .

ويقول ابن هشام : " وأما مع الماضي فأثبتته الأكثرون ، قال الخليل : يقال قد فعل ، لقوم ينتظرون الخبر ، ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة ؛ لأن الجماعة منتظرون لذلك . . . وفي التنزيل ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ ﴾ ؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله سبحانه وتعالى لدعائها . وأنكر بعضهم كونها للتوقع مع الماضي ، وقال التوقع انتظار الوقوع والماضي قد وقع . وقد تبين بما ذكرنا أن مراد المثبتين لذلك أنها تدل على أن الفعل الماضي كان قبل الإخبار به متوقعا ، لا أنه الآن متوقع والذي يظهر لي قول ثالث ، وهو أنها لا تفيد التوقع أصلاً . . . وعبارة ابن مالك

١ المصدر السابق . ج ٨ . ص ١٣٢ .

٢ حاشية محيي الدين الشيخ زاده ، محمد الفوجوي . ج ٨ ، ص ١٣٣ .

٣ رصف المباني . المالقي ، ص ٣٩٢ .

في تلك حسنة فإنه قال إنها تدخل على ماضٍ متوقع ولم يقل إنها تفيد التوقع ولم يتعرض للتوقع في الداخلة على المضارع البتة وهذا هو الحق " ١ .

وقد كان ابن مالك دقيقاً في فهمه لتركيب "قد" مع الماضي ، إذ إنه قال إنها تدخل على ماضٍ متوقع ، إذ إنَّ الفعل كان متوقعاً وانتهى توقُّعه في الماضي ، فالتوقع حادثٌ منته .

ويرى إلياس ذيب أنها تفيد التوقع ، " تصديقاً أو تأكيداً لخبر أو لفعل ، فعندما نقول : جاء سعيد ، يكون مجيئه غير منتظر . ولكن عندما ندخل "قد" على الفعل الماضي ، ونقول قد جاء سعيد ، نكون قد أكدنا مجيئه المنتظر ، وفي القرآن ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴾ ؛ لأنها كانت تتوقع إجابة الله لدعائها " ٢ .

وأميل إلى اعتبار رأي الشيخ زادة - ومن قبله سيبويه - أنها تفيد التحقيق وتقريب الحال ، فذلك أصح الآراء وأقربها للصواب والتصديق والإقناع ؛ ويعود ذلك في نظري إلى عدد من الأسباب ، أولها : أخذ سبب النزول بعين الاعتبار ، حيث جاء فيه : " قالت عائشة رضي الله عنها : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد كلمتُ المُجادلة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في جانب البيت ، وأنا عنده لا أسمعُ ، وقد سمع لها . وعن عمر أنه كان إذا دخلت عليه أكرمها ، وقال : قد سمع الله لها . وقرئ ﴿ تحاورك ﴾ : أي تراجعك الكلام ، ﴿ وتحاورك ﴾ :

١ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٢٨ .

٢ أساليب التأكيد في اللغة العربية ، إلياس ذيب ، ص ٢٥٧ .

أي تسائلك ، وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة رآها وهي تصلي ، وكانت حسنة الجسم ، فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة ولمم ، فظاهر منها فأتت رسول الله ﷺ فقالت : إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوبة في ، فلما خلى سني ونثرت بطني : أي كثر ولدي جعلني عليه كأمه . وروي أنها قالت له : إن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إليّ جاعوا ، فقال : ما عندي في أمرك شيء . وروي أنه قال لها : حرمت عليه ، فقالت : يا رسول الله ما نكر طلاقاً وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إليّ فقال : حرمت عليه ، فقالت : أشكو إلى الله فافقتي ووجدني ، كلما قال رسول الله ﷺ حرمت عليه ، هتفت وشكت إلى الله فنزلت ﴿ في زوجها ﴾ في شأنه ومعناه ﴿ إن الله سميع بصير ﴾ يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر" ١ .

فبيّن سبب النزول أن المرأة كانت متلهفة* أن ينزل في قضيتها حكماً يفرج عنها كربتها . فالظهار عادة جاهلية سيئة جائزة ، وهي تريد حكم الإسلام في هذه القضية ، ولهذا كانت تتوقع أن ينزل الله حكمه في هذه القضية ، بعد أن لم يستطع الرسول ﷺ البت في هذه المسألة ؛ ولهذا فقد لجأت إلى الله تعالى ، ونادته فما وجدت إلا رحيماً بها يسمعها ، فنزل ﴿ قد سمع ﴾ إعلماً لها بأن تحقيق السماع وقربه من الله تحقق . وهذا يشير إلى أن "قد" هنا أفادت التحقيق والتقريب من الحال

١ الكشاف ، الزمخشري ، ج ٤ ، ص ٦٩ - ٧٠ .

* انظر الأثر النفسي للتوكيد ، في منازل الرواية ، سمير استيبيّة ، ص ١٦ - ١٧ .

مع حال التوقع أو من المتوقع كما أشار الشيخ زادة إلى ذلك في قوله : " أن كلمة
"قد" لا بد أن تفيد معنى التحقيق ، ثم إنه قد يضاف إليه في بعض المواضع إذا
دخلت على الماضي التقريب من الحال مع التوقع ، فتدل على أن الكلام المصدّر بها
المتوقع للمخاطب واقع عن قريب ، كما تقول لمن يتوقع ركوب الأمير : قد ركب
أي حصل عن قريب ما كنت تتوقعه " ^١

ولأن ما يمكن أن يفهم من قول ابن هشام " وأنكر بعضهم كونها للتوقع مع
الماضي وقال التوقع انتظار الوقوع والماضي قد وقع . تبين بما ذكرنا أن مراد
المتبئين لذلك ، أنها تدل على أن الفعل الماضي كان قبل الإخبار به متوقعاً ، لا أنه
الآن متوقع " ^٢ . " وعبرة ابن مالك في ذلك حسنة فإنه قال : إنها تدخل على ماضٍ
متوقع * ، ولم يقل إنها تفيد التوقع ، ولم يتعرض للتوقع ، في الداخلة على المضارع
البيّنة ، وهذا هو الحق " ^٣ . يدلّ على أنها تفيد التوقع وإن كان في ماضٍ صار
توقعه وانتهى ، فالتوقع حادثٌ فيها مع الماضي ، وإن اختلفت الآراء في وقته بين
التوقع الحاضر ، مثل : قد قامت الصلاة ، والتوقع الحاصل مثل : قد مات .

^١ حاشية محيي الدين شيخ زاد على تفسير الشيخ البيضاوي . محمد القوجوي . ج ٨ ، ص ١٣٢ .
وانظر الكشف - كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال ، ابن المنير الإسكندري - ج ٤ ص ٩٨ .

^٢ مغني اللبيب . ابن هشام ، ص ٢٢٨ .

* أي سبق توقعه .

^٣ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٢٨ .

ولذلك فإنَّ تحقّق السَّمْع وتوقّعه مع الإجابة حاصلٌ مع سَمْعٍ التي انتهى وقتُ فعلِها ، فالتّوقّع والسَّمْع تَمّا في الماضي وانتهيا . وهذا يفيد أنّ دلالتها تتحمّل التّوقّع والتّحقّق ، وإن كان الفعل ماضياً .

ولأنّه أخيراً قد ورد في قراءة ابن مسعود ﴿ قد يسمع الله قول التي تجادلك في زوجها والله قد يسمع تحاوركما ﴾ . ومجيئها على هذه الصورة في هذه القراءة يثير الانتباه ويلفت إلى أنّ المعنى الذي قد تصيبه "قد" هو ما أشرنا إليه ، إذ إنّ "قد" مع المضارع تفيد التّوقّع ' .

الجملة ذات الخبر الطلبي الفعلية المضارعة المثبتة

تكرّرت الجمل الفعلية الطلبية المضارعة المثبتة في هذا الجزء الكريم مرتين في نمط واحد هو التالي :

النمط :

السين + فعل مضارع

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	الجمل الفعلية الطلبية المضارعة المثبتة
١	الطلاق	٦	فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى
٢		٧	سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا

التحليل :

تعددت آراء النحويين في السين " الداخلة على المضارع التي تخلصه للاستقبال، وتسمى حرف تنفيس ؛ لأنها تنفس في الزمان فيصير الفعل المضارع مستقبلاً بعد احتماله للحال والاستقبال^١ ، وتنزل " منه منزلة الجزء ، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به ، وليس مقتطعاً من سوف خلافاً للكوفيين ، ولا مدة الاستقبال معه أضيق منها مع "سوف" خلافاً للبصريين ، ومعنى المعربين فيها "حرف تنفيس" حرف توسيع ، وذلك أنها تقلب المضارع من الزمن الضيق ، وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال^٢ .

ولا تدخل عليها لام التوكيد والابتداء مثل "سوف" " لنلا يجتمع حرفان على حرف واحد مفتوحان زائدان على الكلمة ، ولشدة اتصال بعضهما ببعض واتصالهما بالكلمة ، وربما أدى ذلك في بعض الكلمات إلى اجتماع أربع متحركات وأكثر نحو: لَسَيَسْجُذُ وَلَسَيَعْلَمُ فنقل الكلمة^٣ . ونلاحظ في هذا القول أن عدد المتحركات في الأمثلة المختارة هو ثلاث لا أربع كما قال المالقي ، أي إن هناك اختلاف بين المثال والتنظير .

ويكون نفيها بـ "لن يفعل" ، وقال الخليل أن سيفعل ، جواب : "لن يفعل"^٤ .

١ رصف الميانى . المالقي . ص ٣٩٦ .

٢ المغني . ابن هشام . ص ١٨٤ - ١٨٥ .

٣ رصف الميانى . المالقي . ص ٤٦١ .

٤ شرح المفصل . ابن يعيش . ص ١٤٨ .

وأما الفائدة المعنوية التي يفيدها الحرف فهي التوكيد للاستقبال ، قال ابن خالويه في قوله تعالى : ﴿ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴾^١ السين تأكيد للاستقبال^٢ ، وقد ذهب إلى ذلك أبو السعود عند شرحه لقوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيَدْخِلُهمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^٣ قال : " وفي السين تأكيد للوعد "^٤.

وقد ذهب صاحب "فتح القدير" في شرح الآية نفسها المذهب نفسه ، فقال : " والسين لتحقيق الوعد "^٥ ، وكذلك ذهب صاحبنا كتابي "تفسير النسفي" وكتاب "روح المعاني"^٦.

وزعم الزمخشري أنها " إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة ولم أر من فهم وجه ذلك ، ووجهه أنها تفيد الوعد بحصول الفعل فدخلوها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتضى لتوكيده وتثبيت معناه وقد أوماً إلى ذلك في سورة البقرة فقال في ﴿ فَسَيَكْفِيهمُ اللهُ ﴾^٧ ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين وصرح به في سورة براءة فقال في ﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ ﴾^٨

^١ سورة الأعلى . الآية ١٠ .

^٢ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم . ابن خالويه . ص ٦٠ .

^٣ سورة التوبة ، الآية ٩٩ .

^٤ تفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ١٩٢ .

^٥ فتح القدير . الشوكاني . ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

^٦ انظر تفسير النسفي ، النسفي ، ج ٢ ، ص ١٠٦ . وانظر روح المعاني ، الأوسى ، ج ٥ ، ص ٦٠ .

^٧ سورة البقرة ، الآية ١٢٧ .

^٨ سورة التوبة ، الآية ٧١ .

السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد إذا قلت سأنتقم
منك " ١ .

ويلمح ابن يعيش إلى إفادتها التوكيد عندما جعل "لن" جواباً لقول القائل :
"سيقوم زيد" ، وكان قد أخبر أن "لن" أبلغ في نفيه من "لا" ٢ . ولا بد أن يكون في
الإثبات تأكيداً لما يكون مؤكداً في النفي .

اتفق المفسرون ٣ على أن في الآية ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ تأكيداً
للوعد، وخالفهم ابن عاشور الذي أورد رأيين متناقضين حيث قال في الأول :
"وليس في هذا الخير وعد لكل معسر بأن يصير عسره يسراً . وقد يكون في
المشاهدة ما يخالف ذلك ، فلا فائدة في التكلف ؛ بأن هذا وعد من الله للمسلمين
الموحدين يومئذ بأن الله سيبدل عسرهم باليسر ، أو وعد للمنفقين الذين يمثلون لأمر
الله ، ولا يشحون بشيء مما يسعه مالهم . وانظر قوله تعالى ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ
يُسْرًا﴾ ٤ . ومن بلاغة القرآن الإتيان بـ "عسراً ويسراً" تكرتين غير معرفتين باللام

١ المعني . ابن هشام ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

٢ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ١١١ - ١١٢ .

٣ ومنهم : جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، م ١٢ ، ص ٧١ . والكشاف ، الزمخشري ، ج ٤ ، ص ١٢٣ . حيث قال :
إنه موعد الفقراء ذلك الوقت يفتح أبواب الرزق عليهم ، أو الفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ، ولم يقصروا . وهو على
الوجيز . والمحرم الوجيز ، ابن عطية ، ج ٥ ، ص ٣٢٦ . حيث قال : " ثم رجا تعالى باليسر تسبيلا على النفوس وتسبيلا لها
" . والتفسير الكبير ، الرازي ، ج ٢٩ ، ص ٣٧ . حيث قال : " أي بعد ضيق وشدة غنى وسعة ورخاء وكان الغالب في ذلك
الوقت الفقر والفاقة ، فأعظم الله تعالى أن يجعل بعد عسر يسرا ، وهذا كالشارة لهم بمطلوبه . ومعلوم أن العلم والشارة فيهما
تأكيد وتحقيق للخبر ، أي أنه يرى أن السين فيها توكيد . وتفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢٦٣ . حيث قال : " وقد أكد
ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا ، أي عاجلا أو آجلا " .

٤ سورة الطلاق : الآية ٧ .

٥ سورة الشرح ، الآية ٥ .

لئلا يتوهم من التعريف معنى الاستغراق كما في قوله ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^١ "٢".
 أما في الثاني وأثناء شرحه للآية فيقول : " وقوله ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ...﴾ تناسب
 مضمون ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾^٣ . وهذا الكلام خبر مستعمل في بعث الترجي
 وطرح اليأس عن المعسر من ذوي العيال . ومعناه : عسى أن يجعل الله بعد
 عسرکم يسراً لكم ، فإن الله يجعل بعد عسر يسراً ، وهذا الخبر لا يقتضي إلا أن من
 تصرفات الله أن يجعل بعد عسر قوم يسراً لهم ، فمن كان في عسر رجا أن يكون
 ممن يشملهم فضل الله ، فيبدل عسرَه باليسر "٤.

فهو يلمح في شرحه إلى أن السين فيها وعد ، ويرى أنه خبر يستعمل في بعث
 الترجي وطرح اليأس عن المعسر ، ويوضح هذه العبارة ، فإن الله يجعل بعد عسر
 يسراً ، وهو هنا يستخدم "إن" المؤكدة ثم بعد ذلك يزيد الخبر تأكيداً باستخدام القصر
 بـ "لا" و "إلا" . فيقول هذا الخبر لا يقتضي إلا أن من تصرفات الله أن يجعل بعد
 عسر قوم يسراً لهم .

ويذكر سيد قطب رأياً جميلاً " وهو أن في الخبر لمسة الإرضاء وإفراح الرجاء
 لل اثنين على السواء "٥ . وغني عن الذكر أن في الإرضاء والرجاء تأكيداً لحصول

١ سورة الشرح ، الآية ٥ .

٢ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٩٨ .
 "سورة الطلاق ، الآية ٧ .

٣ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

٤ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، م ٦ ، ص ٣٦٠٣ .

اليسر بعد العسر .

الجملة ذات الخبر الطلبي الفعلية المضارعة المنفية

تكررت الجملة الطلبية الفعلية الماضوية المنفية في هذا الجزء القرآني الكريم في نمطين اثنين ، وقد كان عدد الآيات القرآنية التي جاءت على النمط الأول أربع آيات توزعت في شكلين ، أما التي جاءت على النمط الثاني فهي خمس ، توزعت في شكلين أيضاً ، ويبيّن الجدول الآتي أولاً : النمط الأول :

أولاً : النمط الأول :

الشكل الأول :

استفهام + لم + فعل مضارع + الفاعل ضمير مستتر

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الفعلية الطلبية المضارعة المنفية
١	المجادلة	٨	ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى
٢		١٤	ألم تر إلى الذين تولوا قوماً
٣	الحشر	١١	ألم تر إلى الذين نافقوا

الشكل الثاني :

الاستفهام + لم + فعل مضارع + الفاعل اسم ظاهر

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الفعلية الطلبية المضارعة المنفية
١	التغابن	٥	ألم يأتكم نبا الذين كفروا من قبل

التحليل :

الاستفهام من الجمل الإنشائية ، ولم يكن هناك مندوحة من دراسته في هذه الرسالة وإن كانت معنونة بالجملة الإخبارية ؛ لأنّ من الاستفهام ما يمكن أن يخرج إلى الإخبار ، فقد قال السيوطي " وقد تستعمل الاستفهام في غيره مجازاً ، ونقل عن العلامة شمس الدين ابن الصائغ من كتابه روض الأفهام في أقسام الاستفهام قال فيه: قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعانٍ ، أو أشربته تلك المعاني ، ولا يختصّ التجوُّز في ذلك بالهمزة خلافاً للصفار ^١ ، وذكر منها اثنين وثلاثين استفهاماً بمعنى مجازيٍّ ، وهو " الاستفهام الذي ظاهره استفهام لكنه ليس كذلك فهو لا يحتاج إلى جواب من المخاطب على الرغم من اشتماله على أداة استفهام في الوقت الذي يمكن أن تحلّ الجملة الخبريّة محله دون أن يحل أيّ تغيير في المعنى المطلوب . ويؤتى به لقضاء دلالات لغوية لم تكن له من قبل ^٢ .

وقد بينت الباحثة منى حسين جميل ثلاث دلالات لهذا التركيب وهي الاستعلام والعلم والتوكيد ^٣ ، " وتتساءل الباحثة هل التحقّ النفي بالاستفهام من أجل ألا يحدث شيئاً ؟ الجواب بطبيعة الحال : لا ، فعندما نقول ألم تفعل كذا ؟ فكأنك قلت فعلت كذا وكذا . . . لقد التحقّ النفي بالاستفهام من أجل أن يؤكد القضية وهو باب

^١ الإقنان في علوم القرآن ، السيوطي ، ج ٢ . ص ٢١٢ .

^٢ الاستفهام في العربية دراسة تركيبية دلالية ، منى حسين جميل ، ص ١١٤ .

^٣ المرجع السابق ، ص ١١٥ .

من أبواب التوكيد لم يشر إليه النحاة من قبل ، وهو خاص بالهمزة دون سواها من أدوات الاستفهام " ١ .

ولكن كيف حدث التأكيد عندما التحق النفي بالاستفهام ؟ الهمزة هنا في هذا التركيب تفيد الإنكار ، أي تفيد النفي ، ولم تَفِدْ في أصل معناها النفي ، وعليه فإن نفي النفي في القاعدة اللغوية المشهورة يفيد الإثبات أي التوكيد .

ولم أجد في كتب التفسير اللغوية المشهورة رأياً في مثل هذه الجمل القرآنية ، وكل ما قالوه في هذا الموضع كان شرح الاستفهام وبيان المعنى البلاغي الذي يفيد الاستفهام في أحسن الأحوال .

ففي الأولى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ﴾^٢ - على سبيل المثال - يقول أبو السعود : " نزلت في اليهود والمنافقين ، كانوا يتاجرون فيما بينهم ويتغامزون بأعيانهم إذا رأوا المؤمنين ، فنهاهم رسول الله ﷺ ثم عادوا لمثل فعلهم ، والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام ، والهمزة للتعجيب من حالهم ، وصيغة المضارع للدلالة على تكرار عودهم وتجدد واستحضار صورته العجيبة " ٣ .

١ المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

٢ سورة المجادلة ، الآية ٨ .

٣ تفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢١٩ .

وقد ورد المعنى نفسه في شرحه للآيات الأخرى انظر المجادلة ١٤ ، انظر ج ٧ ، ٢٢١ ، والحشر ١١ ، انظر تفسير أبي السعود . أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢٣٠ .

ويذهب ابن عاشور إلى ما ذهب إليه أبو السُّعود من إفادتها للتعجيب دون أي

شرح يذكر فيه زيادة فائدة أو نقص^١ .

أما في النمط الثاني في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾^٢

"الجملة ابتدائية ؛ لأنها عدّ لصنف ثانٍ من أصناف كفرهم وهو إنكار الرسالة .

فالخطاب لخصوص الفريق الكافر بقرينة قوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ فهذا

الخطاب موجه للمشركين الذين حالهم كحال من لم يبلغهم نبأ الذين كفروا مثل

كفرهم ، مثل عادٍ وثمود ومدين وقوم إبراهيم . والاستفهام تقريريّ ، والتقرير يؤتى

معه بالجملة منفية توسعة على المقرر ، إن كان يريد الإنكار حتى إذا أقرّ لم يستطع

بعد إقراره إنكاراً ؛ لأنه قد أعذر له من قبل بتلقيه النفي"^٣ .

ومن نافلة القول في هذا الموضع أن نشير إلى أن ما ورد عند الباحثة منى

حسين من قولها : " لقد التحق النفي بالاستفهام من أجل أن يؤكد القضية ، وهو باب

من أبواب التوكيد لم يشر إليه النحاة من قبل ، وهو خاص بالهمزة دون سواها من

أدوات الاستفهام " ٤ . قد ورد معناه عند ابن عاشور في شرحه لقوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾^٥ .

١ انظر التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٦ ، وص ٤٣ .

٢ سورة التغابن ، الآية ٥ .

٣ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٤٠ .

٤ الاستفهام في العربية ، منى حسين جميل ، ص ١٠٧ .

٥ انظر التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٤٠ .

ويرى سيد قطب أن معنى الاستفهام قد يكون إنكار حالهم بعدما جاءهم من نَبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ^١ ، ونكر معنى آخر يتلخص في أنه قد يكون للفت أنظارهم إلى هذا النبأ الذي يقصُّه عليهم ، وهم كانوا يعرفون ، ويتأقلمون أنباء بعض الهلكى من الغابرين كعاد وثمود وقرى لوط ، وهم يمرون عليها في شبه الجزيرة في رحلاتهم للشمال والجنوب ^٢ .

ثانياً : النمط الثاني :

لن + فعل مضارع

تكررت الجملة الطلبية الفعلية الماضوية المنفية بـ " لن " في هذا الجزء القرآني الكريم خمس مرات ، في شكلين اثنين ، وقد كان عدد الآيات القرآنية التي جاءت على الشكل الأول أربع آيات ، وآية واحدة على الشكل الثاني ، ويبين الجدول الآتي ذلك :

الشكل الأول :

لن + جملة مضارعة مبنية للمعلوم

الشكل الأول :

لن + فعل مضارع + الفاعل اسم ظاهر معرفة

الترقيم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الفعلية الطلبية المضارعة المنفية
١	المجادلة	١٧	لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم

^١ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٥٨٦ .

^٢ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٥٨٦ .

٢	المتحنة	٣	لن تتفعكم أرحامكم ولا أولادكم
٣	المنافقون	٦	لن يغفر الله لهم
٤	المنافقون	١١	ولن يؤخر الله نفساً

الشكل الثاني :

لن + مضارع + نائب فاعل ضمير متصل (واو الجماعة)

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الفعلية الطلبية المضارعة المنفية
١	التغابن	٧	لن يُبْعَثُوا

التحليل :

اختلف النحويون في أصل " لن " ، ويرجحُ عندي أنها بسيطة كما هي ،
بعداً عن التأويل والحذف والتكلف ، ولعدم وجود دليل مادي يشير صراحة إلى ما
ذهب إليه النحاة . وهي من الحروف التي تنصب الفعل المضارع لشبهها بأن ،
واختصاصها بالأفعال المضارعة ونقلها إياها إلى المستقبل تخصيصها بها ^٢ . وقيل
حرف نفي ونصب واستقبال ^٣ . وقد وردت جازمة في قول الشاعر :

..... فلن يحل للعنين بعدك منظرٌ ^٤

١ انظر الكتاب ، سيبويه ، ج ٣ ، ص ٥ . جنى الداني ، الرادي ، ص ٢٨٤ . رصف الميثاني ، السالقي ، ص ٣٥٥ . سر صناعة الإعراب ، ابن جنى ، ج ١ ، ص ٣٠٦ . شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ١١٢ . مغني التليد ، ابن هشام ، ص ٣٧٣ .
٢ انظر معاني الحروف ، الرماني ، ص ١٠٠ . أسرار العربية ، أبو البركات الأنباري ، ص ٣٢٨ . شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٧ ، ص ١٥ .

٣ الجملة الفعلية منفية واستفهامية ومؤكدة ، زين كامل الخويسكي ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .
٤ المغني ، ابن هشام ، ص ٣٧٥ .

وقول الآخر :

لن يخبِ الآن من رجائك مَنْ حرك من دون بابك الحلقة^١

وقول النابغة الذي ذكره ابن عطية في تفسيره^٢ :

هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلن أعرض أبنت اللغن بالصّفد

غير أنّ النحاة عدّوا الجزم بـ "لن" شاذاً^٣ ، أو نادراً^٤ ، أو للضرورة الشعرية^٥ .

وأما فائدة (لن) المعنوية فيرى الزمخشري أنّ "لن" تفيد تأكيد النفي ، وأنها لتأكيد ما تعطيه " لا " من نفي المستقبل ، تقول : لا أبرح اليوم مكاني ، فإذا أكدت وشددت قلت لن أبرح اليوم مكاني^٦ . ، وقال في الكشف : " فإن قلت ما حقيقة "لن" في باب النفي قلت : "لا" ، و"لن" أختان في نفي المستقبل ، إلا أنّ في "لن" توكيداً وتشديداً ، فقلت لصاحبك : لا أقيم غداً ، فإن أنكر عليك ، قلت : لن أقيم غداً^٧ .

١ المصدر السابق ، ص ٣٧٥ . ولمزيد عن الجزم بـ "لن" انظر ، نتائج الفكر ، السيبي ، ص ١٣٠ . أبرهان في علوم

القرآن ، الزركشي ، ج ٤ ، ص ٣٨٧ . شرح الأسموني . الأسموني ، ج ٣ ، ص ٥٤٨ .

٢ انظر تفسير ابن عطية ، ابن عطية ، ج ١ ، ص ٢٠٣ .

٣ انظر الكوكب النيرة ، محمد أحمد الأهل ، ص ٤٦٥ .

٤ معجم مسائل النحو وتصرف ، شوقي العمري ، ١٤٦ - ١٤٧ .

٥ المحيط في أصوات اللغة . محمد الاطّاكي ، ج ٣ ، ص ٢١٧ .

٦ المفصل ، الزمخشري ، ص ٣٦٥ .

٧ الكشف ، الزمخشري ، ج ١ ، ص ١٠٧ .

وذهب ابن هشام إلى مخالفته فقال : " ولا تفيد "لن" تأكيد النفي خلافاً للزمخشري في كشفه ، ولا تأييده خلافاً له في أنمونه ، كلاهما دعوى بلا دليل^١ .
 وفرّق المفسرون بين "لا" و"لن" في قوله تعالى ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ ﴾^٢ ، وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ ﴾^٣ ، والله عليم بالظالمين^٤ ، حيث تطف الغزالي بتوجيه الآيتين بـ "لن" هنا و"لا" في سورة الجمعة ، بأن الدعوة هنا أعظم من الثانية ، إذ السعادة القصوى هي الحصول في دار الثواب . أما مرتبة الولاية فهي وإن كانت شريفة إلا أنها إنما تراد ليتوسّل بها إلى الجنة ، فلما كانت الدعوة أعظم لا جرم ، بيّن تعالى فساد قولهم بلفظ "لن" ؛ لأنها أقوى الألفاظ النافية ، ولما كانت الدعوة الثانية ليست في غاية العظمة اكتفى بإبطالها بلفظ "لا" ؛ لأنه ليس في نهاية القوة في إفادة معنى النفي . والله أعلم^٥ .

وقد اختلف النحويون^٦ خلافاً بيننا في إفادتها التأييد من عدمه ؛ غير أن الراجح أنها تفيد معنى التأييد ما لم يكن ثمة مقيد يخرجها عن التأييد ، كتقييد الفعل بزمان محدّد ، أو قرينة حالّية .

١ مغني اللبيب . ابن هشام . ص ٣٧٤ .

٢ سورة البقرة . الآية ٩٥ .

٣ سورة الجمعة . الآية ٧ .

٤ تفسير القاسمي . القاسمي ، ج ٢ ، ٢٣٠ - ٢٣١ . وانظر تفسير البحر المحيط . أبو حيان الأنلسي ، ج ١ ، ص ٤٧٩ .

٥ التكميل . الزمخشري ، ج ٣ ، ص ١٦٧ . شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ١١١ - ١١٢ . مغني اللبيب . ابن هشام . ص ٣٧٤ . النحو الوافي ، عباس حسن . ج ٤ ، ص ٢٩٩ .

أما المفسرون فيرون في قوله تعالى على سبيل المثال ﴿لن يبعثوا﴾ ، فقد جاء في تفاسيرهم ما نصّه : " أي زعموا أنّ الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبداً " ، وأما ابن عاشور فقد ذكر أنّ " لن " تؤكد النفي ، حيث قال : " واجتلاب حرف " لن " لتأكيد النفي فكانوا موقنين بانتفاء البعث " ^١ . ولم يعر الشيخ زادة " لن " التوكيدية أو التأبيدية أي اهتمام ، فقد اكتفى بالإشارة إلى معصية الكفار - وهي إنكارهم البعث - ودلالة زعموا ومفعوليها ، فقال : " بيّن أنّ لهم معصية أخرى وهو إنكارهم البعث ، فقال : زعم الذين كفروا أنّ لن يبعثوا ، الزعم ادعاء العلم بالشئ ولا علم . وإنّ ما في حيّزها قائم مقام المفعولين كأنّه قيل : زعموا كونهم غير مبعوثين وهي مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المضمّر أي زعموا أنّ الشأن لن يبعثوا وليست بناصبة لئلا يدخل ناصب على مثّلها " ^٢ . بينما نلاحظ معنى التأكيد في عبارة سيّد قطب ، حيث يقول في شرح الآية : " ومنذ البدء يسمى مقالة الذين كفروا عن عدم البعث زعماً فيقضي بكذبه من أول لفظ في حكايته ، ثمّ يوجه الرسول ﷺ إلى توكيد أمر البعث بأوثق توكيد وهو أنّ يحلف بربه وليس بعد قسم الرسول بربه توكيد " ^٣ .

^١ تفسير أبي السعود . أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢٥٦ .

^٢ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٦٤ .

^٣ حاشية محيي الدين شيخ زادة ، محمد القوجوي ، ج ٨ ، ص ٢٣٠ .

^٤ في ظلال القرآن ، سيّد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٥٨٧ .

لذلك ، أرى أن "لن" في هذا الموقع قد أفادت التأييد ، وبدلَ على ذلك ما ذهب إليه النحاة أولاً ، فهي هنا دون مقيدٍ أبداً يحدّ من إفادتها هذا المعنى ، ولأنّ الله لمّا سمع الكافرين يقولون لن نبعث ، أراد أن يكون ردّه عليهم مؤكّداً ، وقد كان ذلك - كما أشار إلى ذلك سيد قطب - على لسان نبيّه محمد ﷺ .

أمّا في قوله تعالى ﴿لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم﴾ فيرى المفسرون أنّ مناسبة ذلك هو ما ذكره ابن عطية ، إذ قال : " روي أنّ المنافقين فخرُوا بكثرة أولادهم وأموالهم وأظهروا السرور بذلك ، فنزلت الآية معلّمة أنّ ذلك لا غناء له عنهم ولا مدفع بسببه " ^١ . " روي أنّ واحداً منهم قال لننصّرَنّ يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا " ^٢ . " ثمّ إنّهُ تعالى لمّا بيّن أنّهم إنّما يحلفون على الكذب لتكون أيمانهم الكاذبة جنةً لهم يدفعون بها القتل عن أنفسهم وأولادهم والاستيلاء على أموالهم ، بيّن أنّه لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم التي كانوا يحمونها بالنفاق والأيمان الكاذبة من عذاب الله تعالى في الآخرة شيئاً قليلاً " ^٣ . ومعنى هذه الآية مناسب لقوله تعالى في الآية السابقة ﴿اتخذوا أيمانهم جنةً﴾ ^٤ ، فكما لم تقم أيمانهم العذاب لم تغن عنهم أموالهم ولا أنصارهم شيئاً يوم القيامة ، فاذنهم الله بأنّ أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم ممّا توعدّهم الله به من المذلة في الدنيا والعذاب في الآخرة . وإذا لم تغن

^١ المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ج ٥ ، ص ٢٨١ .

^٢ تفسير الفخر الرازي ، الرازي ، ج ٣٩ ، ص ٢٧٥ . وانظر ، تفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢٢٢ .

^٣ حاشية الشيخ محيي الدين زاده ، محمّد النفوجوي ، ج ٨ ، ص ١٥٠ .

^٤ سورة المجادلة ، الآية ١٦ .

عنهم من الله في الدنيا ، فإنّها أجدّر بأن لا تغني عنهم من عذاب الآخرة شيئاً ، أي شيئاً قليلاً من الإغناء . وإقحام حرف النفي في المعطوف على المنفي لتوكيد انتفاء الإغناء ^١ .

وعليه فإنّ " لن " في قوله تعالى ﴿لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ ^٢ ، تفيد تأكيد نفي المستقبل في حدث الفعل وزمانه ومعناه وتشديد ذلك كلّهُ . ويصبح المعنى أنّ أموالهم وأولادهم مهما كثرت ، ومهما كانوا أو فعلوا لن تنفعهم من الله أو تحميهم منه لا في الدنيا ولا في الآخرة . وإصرار كثير من المفسرين على عبارة "ولا في الآخرة" أو ما شابهها لأنهم أدركوا ضمناً أنّها تفيد التأييد . أمّا دلالتها على النفي فهذا واضح بين من استخدام كثير من المفسرين كلمات تغني عن "لن" تفيد النفي والتوكيد مثل استخدام أسلوب الحصر ، أو "لم" أو النون التوكيدية المشددة ، وغيرها من العبارات .

^١ انظر ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

^٢ سورة المجادلة ، الآية ١٧ .

الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المثبتة

تكرّرت الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المثبتة في هذا الجزء القرآني الكريم ، حيث بلغ عددها إحدى وخمسين جملة قرآنية ، وتفرعت إلى فرعين في أربعة أنماط ، وقد كان عدد الآيات القرآنية التي جاءت على النمط الأول خمساً ، أما التي جاءت على النمط الثاني فأربع ، والتي جاءت على الثالث ثلاث ، والتي جاءت على الرابع اثنتان ، تبيّنها الجداول الآتية :

الفرع الأول :

تقديم الخبر

أولاً : النمط الأول :

الخبر شبه جملة مقّم + المبتدأ معرف بأل التعريف

الرقم تتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة
١	الحشر	٣	ولهم في الآخرة عذاب النار
٢		٢٤	له الأسماء الحسنى
٣	المتحنة	٤	وإليك المصير
٤	المنافقون	٧	ولله خزائن السماوات والأرض
٥	المنافقون	٨	ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
٦	التغابن	١	له الملك
٧		١	وله الحمد
٨		٣	وإليه المصير

ثانياً : النمط الثاني :

الخبر شبه جملة مقّم + المبتدأ نكرة موصوفة

الرقم لتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة
١	المجادلة	٤	للكافرين عذاب أليم
٢		٥	للكافرين عذاب مهين

ثالثاً : النمط الثالث :

الخبر شبه جملة + المبتدأ نكرة موصوفة

الرقم لتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة
١	المجادلة	١٦	فلهم عذاب مهين
٢	الحشر	١٥	لهم عذاب أليم
٣	التغابن	٥	لهم عذاب أليم
٤	التحريم	٦	عليها ملائكة غلاظ

التحليل :

التقديم " بابٌ كثير الفوائد ، جمّ المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفتّرُ لك عن بديعه ، ويُفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروّك مسمعه ، ويلطّف لديك موقعه ، ثمّ تنتظر فتجد سبب أن راقك ولطّف عندك أن قدّم فيه شيء ، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان " . فإن كان هذا حاله في الشعر ، فكيف بحاله في كلام الله تعالى .

إنّ المواقع الأصليّة لعناصر الجملة الاسميّة وترتيبها الذي تجري عليه ،
يعتمد على فكرة البنية الأساسيّة للجملة ، أو أصالة الترتيب التي تصوّرها النحويون
ويرفضها النحو الحديث^١ ، " فلا يمكن الحكم على عنصر ما في الجملة بأنّه مقدّم
من تأخير ، أو مؤخر من تقديم إلّا إذا كانت بنية الجملة الأساسيّة تحكم بوضع هذا
العنصر ، أو ذاك في موضع معين أو رتبة محدّدة . . . ولولا النظر إلى هذه
الرتبة المقرّرة لكلا العنصرين ، لم يحكم بتقديم هذا أو تأخير ذاك "^٢.

ومذهب النحاة أنّ أصل ترتيب هذه العناصر هو المبتدأ أولاً فالخبر ثانياً
وتصوّروا على خروج الخبر عن موقعه ليأتي في موقع المبتدأ ، يقول ابن مالك :

والأصل في الأخبار أنّ تؤخرا وجوزوا التقديم إذ لا ضررا^٣

كما نصّ البلاغيون على أنّ الأصل في ترتيب عناصر الجملة الاسميّة هو أنّ
يذكر المبتدأ أولاً ثمّ الخبر ثانياً ؛ وذلك عندما صرّحوا بأنّ الاسم المعرفة المتقدّم في
الجملة الاسميّة هو المبتدأ ، والاسم الثاني المعرفة هو الخبر ، إذ إنّ " المبتدأ ذات
والخبر حالّ من أحوالها ، والذات متقدّمة على أحوالها "^٤ ، فكان من حقّ المبتدأ في
الأصل أنّ يتقدّم على الخبر.

١ انظر . بناء الجملة العربيّة ، محمد حماسة عبد اللطيف ، ص ١٩٤ - ٢٠٧ .

٢ بناء الجملة العربيّة ، محمد حماسة عبد اللطيف ، ص ١٩٤ .

٣ شرح ابن عقيل . ابن عقيل . ج ١ . ص ٢١٢ .

٤ التفوات للضويانيّة ، الجامي ، ص ٢٧٩ .

والتقديم والتأخير من القضايا التي عني بها النحاة والبلاغيون في كتبهم ، فقد
 خصصوا لها مباحث وفصولاً ، وجملته الأمر عندهم أن تقديم ما حقه التأخير فائده
 العناية والاهتمام . يقول صاحب الكتاب " فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدّماً
 وهو عربيّ جيّد كثير ، كأنهم يقدّمون الذي بيّنه أهم لهم ، وهم بيّنه أعنى وإن
 كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم " ^١ .

وتتكوّن الجملة الاسميّة من ركنين أساسيين هما : المبتدأ والخبر . وهذان الركنان متلازمان
 فلا يذكر أحدهما دون الآخر ، ولا تتم الفائدة إلا بوجودهما معاً ، يقول ابن يعيش : " اعلم أن
 المبتدأ والخبر جملة مفيدة ، تحصل الفائدة بمجموعهما ، فالمبتدأ معتمد الفائدة ، والخبر محلّ
 الفائدة ، فلا بدّ منهما " ^٢ .

والتقديم في العربيّة يفيد تحقيق الأمر وتوكيده وإيعاده عن الشكّ في أمر سبق
 فيه إنكارٌ من مُنكرٍ ، وقد أشار الجرجانيّ إلى ذلك في مواضع عديدة من كتابه
 دلائل الإعجاز ^٣ . ويرى سيبويه هذا كذلك ، في مسألة التقديم حين قال : " وإن كان
 إنّما يقدمون الذي بيّنه أهمُّ لهم ، وهم بيّنه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمانهم
 ويعنيانهم " ^٤ . وحين قال : " والتقديم هاهنا والتأخير فيما يكون ظرفاً أو يكون اسماً

١ الكتاب . سيبويه ، ج ١ ، ص ٣٤ .

٢ شرح المفصل . ابن يعيش ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

٣ انظر مثلاً ، دلائل الإعجاز . الجرجانيّ . ص ١٢٠ و ص ١٢١ و ص ١٢٢ و ص ١٢٣ .

٤ الكتاب ، سيبويه ، ج ١ ، ص ١ ج ١ ص ٣٤ .

في العناية والاهتمام^١. وقد أكد ذلك الباحثون اللاحقون ، إذ يقول المخزومي : فقد كانت العرب إذا خصّوا شيئاً باهتمامهم ، قدّموه وفجأوا المخاطب به ؛ ليقع ذلك في نفس المخاطب أو السامع موقعاً ثابتاً^٢.

فسيبويه وكثير من النحويين - كما لاحظنا وكما يشير عبد القاهر - اتخذوا من التقديم والتأخير رمزاً للعناية والاهتمام ، ولذلك لم يقف عبد القاهر الجرجاني به عند هذا الحد ، ويرى أن قصره على العناية والاهتمام يُنبِئُه عن أن يكون من عناصر إدراك أسرار التركيب اللغوي وفهمه والوصول إلى كُنْهِهِ وتذوقِ حَلَاوَةِ ما فيه من معنى^٣.

وعليه فإن التقديم والتأخير عند عبد القاهر ومن شاكلة من العلماء يكونُ لأمرٍ يتعلّق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلّم .

ونخلص من ذلك إلى أن التقديم والتأخير يكون دائماً لغرض يتعلّق بالمعنى وليس لغرض يتعلّق بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلام ، ولا هو تارة لمعنى وأخرى

١ الكتاب ، سيبويه ، ج ١ ، ص ٥٦ . وانظر مثلاً ، الخصائص ، ابن جني ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ - ٣٨٥ . وانظر الكشف ، التزمخشري ، ج ١ ، ص ١٤٥ . في شرح إياك نعيد ، مع أنه يراود في مواضع أخرى يفيد الاختصاص انظر الكشف ج ١ ، ص ٣١٨ ، وج ٢ ، ص ١٤٥ . وانظر ، البحر المحيط ، أبو حيان الأنلسي ، ج ٤ ، ص ٤٦٤ . في حديثه عن سورة الأنفال . في قول الله تعالى : لَسَبْحُ الْحَقِّ وَيَنْظُرُ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ .

٢ في النحو العربي نقد وتوجيه ، المخزومي ، ص ٢٤٢ .

٣ انظر دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص ١٠٧ - ١٠٩ .

وانظر الكافية . لابن الحاجب . ج ١ ، ص ٧٢ . حين يقول أن التقديم يفيد الاختصاص . المصدر السابق . ج ٢ ، ص ١٦ . حين يرى ابن الحاجب أن التقديم يكون للأهمية . ولكن إقافته للاختصاص أولى . والأولى أن يقال أنه يفيد القصر .

لموسيقى الكلام ، وذهب إلى ذلك إبراهيم أنيس^١ ، وأحمد نصيف الجنابي^٢ . وكان قبلاً قد أنكر ابن قتيبة على الفراء إهمال المعنى من أجل قوله بالفاصلة القرآنية^٣ .

ويمكن رغم هذا أن نقول إنَّ للتقديم والتأخير أغراضاً أخرى غير تلك التي أشرنا إليها من توكيد ، وقصر ، وردّ إنكار ، وبيان شأن ، وتوضيح أمر فيكون أيضاً عناية بالسياق الموسيقي .

وعليه فإنَّ الجملة في الأصل الذي قرّره النحاة ليس ثابتاً ، فهو يتغير لأسباب ودواعٍ متعددة كثيرة نحويّة وبيانيّة^٤ . غير أنَّ ما حقّه التقديم أصلاً لا يحمل معنى التوكيد الذي أشرنا إليه . وعليه " ليس كلّ تقديم يفيد الحصر والتوكيد ، فتقديم الكلمة التي لها حقّ التقديم أصلاً ، لا يتضمن معنى الحصر والتأكيد ، فالتأكيد بتقديم ما حقّه أن يتأخر " فقط . وأرجو الانتباه إلى عبارة " لها حقّ التقديم أصلاً " ؛ حيث القصد بها الأصل النحويّ ، أي إنَّ تقديم الخبر وجوباً وما شابهه من تقديم المفعول وجوباً وغيرهما لا يحمل معنى التوكيد والحصر ، والوجوب هنا لأنَّ التركيب لا يصحّ في تلك المواقع ، ولا يجوز إلاّ بذلك حسب نظام اللغة وقواعدها .

١ انظر من أسرار اللغة . إبراهيم أنيس . ص ٣٣٣ . وص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

حيث يقول : " ولا نجد عنقاً ومشقة حين نذكر أن نظام الفواصل القرآنية والحصر على موسيقياً هو الذي تطلّب تأخير الفاعل في قوله تعالى ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ .

وانظر له رأياً مناقضاً في المرجع نفسه . ص ٣١١ .

٢ انظر ، السياق الموسيقي للجملة العربية وشرده في بنائها . مجلة الآداب بالمستصرية ، العدد ٤ ، سنة ١٩٧٩ .

٣ انظر معاني القرآن . ابن قتيبة . ج ١ . ص ١١٨ .

٤ انظر أساليب التأكيد في اللغة العربية . أنيس نيب . ص ٦٦ - ٦٨ .

٥ المرجع السابق ، ص ٦٩ .

ويقوم التوكيد بالتقديم على أساس الخروج بجزء الجملة من مكانه المخصص له في الأصل المقرر عند النحاة ، وتقديمه على الجزء الذي قبله ، و " يعدّ الترتيب من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً ؛ لأنّ المتكلم يعمد إلى مورفيم حقّه التأخير في ما جاء عن العرب فيقدمه ، أو إلى ما حقّه التقديم فيؤخره طلباً لترتيب المعاني في النفس " ^١ . وفي ذلك يقول عبد القاهر : " نظم الكلم ... تقتضي [فيه] ... آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس " ^٢ .

وسنأخذ فيما يلي مثلاً على التقديم والتأخير في هذا الجزء القرآني الكريم ، ففي قوله تعالى ﴿ وَفِي خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^٣ فـ " تقديم المجرور من قوله . . . لإفادة قصر القلب ، وهو قلب للآزم قولهم لا لصريحه ؛ لأنّ المنافقين لما قالوا ﴿ لَا تَتَّقُوا عَلَىٰ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ حسبوا أنّهم إذا قطعوا الإنفاق على من عند رسول الله ، لا يجد الرسول ﷺ ما ينفق منه عليهم ، فأعلم الله رسوله مباشرة ، وأعلمهم تبعاً بأنّ ما عند الله من الرزق أعظم وأوسع " ^٤ .

فالتقديم في هذه الآية كما نلاحظ قد أعطى معنى الآية توكيداً يتركز في أنّ الله سبحانه وتعالى وحده يملك هذه الخزائن . ولو افترضنا أنّ الآية كانت " خزائن السماوات والأرض لله " لذهب جمال المعنى والتوكيد والتخصيص الذي تحمله الآية

١ أنسوب التوكيد الشغوي ، خليل عمارة ، ص ٨٨ .

٢ دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص ٤٩ .

ولمزيد انظر فصل تحقيق القول في البلاغة والفصاحة ، وفصل التقديم والتأخير في المصدر السابق .

٣ سورة المنافقون ، الآية ٧ .

٤ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٢٨ .

الأولى بإعطاء الأهمية للخرائن لا لمالكها . وبذلك يصبح شكل الآية التفصيلي مقابلاً بالأصل النحوي كما يلي :

← المبتدأ (خرائن السماوات والأرض) + الخبر (لله)

في هذه الآية جاء المبتدأ الموضح في الرسم والخبر على الأصل النحوي للجملة ، والأصل صورة مثالية لا تحمل أي معانٍ إضافية غير إيصال الخبر للمستمع والسائل ، وهو هنا أن خرائن السماوات والأرض لله . غير أن المعنى في هذه الجملة قابل للتكذيب ؛ لأن الجملة غير مؤكدة .

← الخبر (لله)
← التوكيد
+ المبتدأ (خرائن السماوات والأرض)

إن ينطلق المعنى في الجملة الثانية حاملاً التوكيد معه ، ولأن التوكيد يكون في المتقدم لا المتأخر فإنه سيترافق ولفظ الجلالة "الله" كما لاحظنا في الرسم السابق . وعليه فإن قوة الجملة في تأدية المعنى تكمن في ثلاثة إجراءات متتالية هي التقديم والتوكيد المرافق للتوكيد واستخدام لام الملكية . وعليه فقد اختص الله تعالى بهذه الخرائن دون غيره . وقد أكدت الآية على هذه الصورة تكديماً لأولئك الذين ينكرون تفرد الله وحده بالعطاء والمنح دون غيره ، وأنه وحده المسيطر على أبواب الرزق

المتحكم بها . والجملة هنا غير قابلة للتكذيب أو التغافل عن معناها ونسيانه ؛ لأنها مؤكدة بالتقديم ، وقد أكدها الله مع إيماننا نحن المسلمين بما ورد فيها حتى لو لم يكن مؤكداً لأن الحقيقة في هذا الشأن كثيراً ما تغيب عن الأذهان .

الفرع الثاني :

تقديم المبتدأ وجوباً لاتصاله بلام الابتداء :

ورد هذا النمط بشكل واحد ، ومرة واحدة ، كما هو ظاهر في الجدول التالي:

النمط :

لام الابتداء + المبتدأ (ضمير المخاطب المنفصل) + الخبر

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة
١	الحشر	١٣	لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله

التحليل :

ورد هذا النمط بشكل واحد ، ومرة واحدة ، كما هو ظاهر في قوله تعالى

﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾^١

^١ سورة الحشر ، الآية ١٣ .

لام الابتداء لام مفتوحة أصليّة ، غير زائدة غير عاملة ^١ ، وتكون للتأكيد أي
 لتمكن المعنى في النفس ^٢ . وهي تؤكد مضمون الجملة ^٣ ، ولها الصدارة وإنما
 قدمت أولاً اعتماداً عليها في تأكيد ما بعدها ، وتدخل باتفاق في موضعين أحدهما
 المبتدأ نحو: لأنتم أشد رهبة ، والثاني بعد "إن" ، وتدخل في هذا الباب على ثلاثة
 باتفاق : الاسم ، نحو ﴿وَإِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ^٤ ، والمضارع لشبهه بالاسم ، نحو
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ^٥ ، والظرف ، نحو ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ
 عَظِيمٍ﴾ ^٦ . وعلى ثلاثة باختلاف ^٧ .

ولشدة تأكيد اللام وتحقيقها " ما تدخل عليه يقدر بعض الناس قبلها قسم ،
 كأن تقدير قوله لزيد قائم ، والله لزيد قائم ، فأضمر الفرع ودلت عليه اللام " ^٨ . غير
 أن تقدير الفرع بهذه اللام باطل من عدة جهات ذكرها الزجاجي وابن هشام ^٩ .
 اتفق المفسرون القدامى على تفسير واحد ، وهو أن رهبة المناققين واليهود
 للمسلمين أشد من رهبتهم من الله عز وجل ؛ من أجل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة

^١ انظر . رصف المباني . المائقي . ص ٣٠٥ . وانظر . معاني الحروف . الرماني . ص ٥١ . وحروف المعاني . الزجاجي . ص ٤٠ .

^٢ رصف المباني . المائقي . ص ٣٠٦ . وانظر . معاني الحروف . الرماني . ص ٥١ .

^٣ مغني اللبيب . ابن هشام . ص ٣٠٠ . وانظر . رصف المباني . المائقي . ص ٣٠٦ .

^٤ سورة إبراهيم . الآية ٣٩ .

^٥ سورة النحل . الآية ١٢٤ .

^٦ سورة القلم . الآية ٤ .

^٧ مغني اللبيب . ابن هشام . ص ٣٠١ .

^٨ كتاب اللامات . الزجاجي . ص ٧٠ .

^٩ كتاب اللامات . الزجاجي . ص ٧٠ - ٧١ . ومغني اللبيب . ابن هشام . ص ٣٠١ - ٣٠٧ .

الله ، فَهُمَ لَئِكَ يَسْتَخْفُونَ بِمَعَاصِيهِ وَلَا يَرْهَبُونَ عِقَابَهُ قَدَرِ رَهْبَتِهِمْ مِنْكُمْ ^١ ، وَيَرَى
صَاحِبُ الْكُشَافِ أَنَّ "رَهْبَةً" مُصَدَّرَ رُهْبٍ الْمَبْنِي لِلْمَفْعُولِ ، كَأَنَّهُ قِيلَ أَشَدَّ مَرْهُوبِيَّةً ؛
ثُمَّ يَتَابِعُ الشَّرْحَ "قُلْتُ" مَعْنَاهُ : أَنَّ رَهْبَتَهُمْ فِي السِّرِّ مِنْكُمْ أَشَدُّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنْ اللَّهِ الَّتِي
يُظْهِرُونَهَا لَكُمْ ، كَانُوا يَظْهَرُونَ لَهُمْ رَهْبَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ اللَّهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ أَنَّ الْيَهُودَ
يَخَافُونَكُمْ فِي صُدُورِهِمْ أَشَدُّ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا أُولَى بِأَسِّ وَنَجْدَةٍ ،
فَكَانُوا يَتَشَجَعُونَ لَهُمْ مَعَ إِضْمَارِ الْخِيفَةِ فِي صُدُورِهِمْ ^٢ .

وَيُوضِحُ صَاحِبُ الْمَحَرَّرِ الْوَجِيزِ "هَذِهِ الْخِيفَةُ" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ يَتَوَقَّعُونَ
عَامِلَ الشَّرِّ مِنْهُمْ ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِأَجْلِ الْعَذَابِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ لِقَلَّةِ فَهْمِهِمْ
لِلْأُمُورِ وَفَقْهِهِمْ بِالْحَقِّ ^٣ . وَذَهَبَ ابْنُ عَاشُورٍ إِلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ تَشْدِيدَ نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ
لِيَعْلَمُوا أَنَّ عَدُوَّهُمْ مَرْهَبٌ مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ الْمُسْلِمِينَ إِقْدَامًا فِي مُحَارَبَتِهِمْ . إِذْ
لَيْسَ سِيَاقُ الْكَلَامِ لِلتَّسْجِيلِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ قَلَّةَ رَهْبَتِهِمْ لِلَّهِ بَلْ إِعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ
بَأَنَّهُمْ أَرْهَبُ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَعْظَمِ الرَّهَبَاتِ . . . وَالْأَصْلُ فِي أَدَاءِ مَثَلِ هَذَا الْمَعْنَى أَنَّ
يُقَالُ فَرَهْبَتَهُمْ مِنْكُمْ فِي صُدُورِهِمْ أَشَدُّ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنْ اللَّهِ ، فَحَوْلَ عَنْ هَذَا النَّسْجِ إِلَى
النَّسْجِ الَّذِي حَبَكَ عَلَيْهِ فِي الْآيَةِ ، لِيَتَأْتِيَ الْإِبْتِدَاءُ بِضَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ اهْتِمَامًا بِهِ .
وَلِيَكُونَ مُتَعَلِّقَ الرَّهْبَةِ ذَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ لِتَوَقُّعِ بَطْشِهِمْ ، وَيَتَأْتِيَ تَمْيِيزَ الْمَحْوَلِ عَنْ [
الْمَبْتَدَأِ] لِمَا فِيهِ مِنْ خُصُوصِيَّةِ الْإِجْمَالِ مَعَ التَّفْصِيلِ . . . وَلِيَتَأْتِيَ حَذْفُ الْمُضَافِ

^١ جَامِعُ الْبَيَانِ ، أَنْطَبَرِي . م ١٢ . ص ٣١ .

^٢ الْكُشَافُ ، الزَّمْخَشَرِيُّ ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

^٣ الْمَحَرَّرُ الْوَجِيزُ ، ابْنُ عَطِيَّةٍ ، ج ٥ ، ص ٢٨٩ .

في تركيب " من الله " إذ التقرير من رهبة الله ؛ لأن حذفه لا يحسن إلا إذا كان موقعه متصلاً بلفظ " رهبة " إذ لا يحسن أن يقال لرهبتهم أشد من الله ' .

وأميل إلى تفسير ابن عاشور^٢ وهو أن الله أراد أن يقوي عزائم المسلمين فجاء باستخدام الضمير الخاص بهم ثم وصله بلام الابتداء التي تلزم الضمير التقدم؛ لأن لها الصدارة ، وفائدته تأكيد مضمون الجملة ، وهو تأكيد خشية الأعداء منهم وذلك يعطيهم إقداماً وشجاعة في مقاتلة أعدائهم .

الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المثبتة المنسوخة

تكررت الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المثبتة المنسوخة في هذا الجزء القرآني الكريم في أربعة أنماط ، بـ "إن" المشددة والمخففة ثلاث عشرة شكلاً ، وبـ "أن" المشددة في ستة أشكال ، وبـ "كان" في شكل واحد في آيتين ، وبـ "لا" النافية للجنس في شكل واحد . وقد كان عدد الآيات القرآنية التي جاءت على النمط الأول خمساً وعشرين آية ، تبينها الجداول الآتي :

أولاً : النمط الأول :

الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المنسوخة بـ (إن) :

١ انظر . التحرير والتوير ، ابن عاشور . ج ٢٨ . ص ٩٢ .

٢ انظر . المصدر السابق . ص ٩١ - ٩٢ .

وقد انقسمت إلى قسمين **إِنَّ** المثقلة ، و**إِنْ** المخففة (**إِنْ**) ، وجاءت المثقلة في اثني عشر شكلاً ، هي الآتية :

الشكل الأول :

إِنْ + اسمها (اسم ظاهر معرفة) + خبرها مفرد اسم ظاهر نكرة

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الحشر	١٨	إِنَّ الله خبير بما تعملون
٢	المجادلة	٧	إِنَّ الله بكل شيء عليم
٣	الطلاق	٣	إِنَّ الله بالغ أمره
٤	الحشر	٤	فإِنَّ الله شديد العقاب
٥		٧	إِنَّ الله شديد العقاب

الشكل الثاني :

إِنْ + اسمها (ضمير الغائب المتصل) + خبرها (مفرد نكرة)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الجمعة	٨	فإنه ملائكم

الشكل الثالث :

إِنْ + اسمها (اسم ظاهر معرفة) + خبرها (مفرد نكرة متعدد)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	المجادلة	١	إِنَّ الله سميع بصير
٢		١٢	فإن الله غفور رحيم
٣		٢١	إِنَّ الله قوي عزيز
٤	المتحنة	١٢	إِنَّ الله غفور رحيم

الشكل الرابع :

إن + اسمها (ضمير متصل كاف المخاطب) + خبرها (مفرد نكرة)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	التحریم	٨	إنك على كل شيء قدير

الشكل الخامس :

إن + اسمها (ضمير المتكلم) + خبرها (مفرد نكرة مخصصة)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الحشر	١٦	إني بريء منك
٢	الممتحنة	٤	إنا برآء منكم

الشكل السادس :

إن + اسمها (ظاهر معرفة) + خبر (جملة فعلية)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الممتحنة	٨	إن الله يحب المقسطين
٢	الصق	٤	إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً

الشكل السابع :

إن + اسمها (ياء المتكلم) + خبرها (جملة فعلية)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الحشر	١٦	إني أخاف الله رب العالمين

الشكل الثامن :

إنَّ + اسمها (اسم ظاهر معرفة) + خبرها جملة فعلية منفية

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	المنافقون	٦	إنَّ الله لا يهدي القوم الفاسقين

الشكل التاسع :

إنَّ + اسمها (اسم موصول) + خبرها (جملة فعلية مبنية للمجهول)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	المجادلة	٥	إنَّ الذين يحادون الله ورسوله كتبوا

الشكل العاشر :

إنَّ + اسمها (ضمير الغائب المتصل) + خبرها (جملة فعلية إفصاحية للذم)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	المجادلة	١٥	إنَّهم ساء ما كانوا يفعلون
٢	المنافقون	٢	إنَّهم ساء ما كانوا يعملون

الشكل الحادي عشر :

إنَّ + اسمها (معرفة اسم موصول) + خبرها جملة اسمية

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	المجادلة	٢٠	إنَّ الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين

أما إنَّ المخففة (إن) فقد جاءت في شكل واحد يمثل النموذج الآتي :

الرقم تتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الجمعة	٢	وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

التحليل :

إنَّ : حرف يدخل على الجملة الاسمية ، فتتصبب الأول ويسمى اسمها وترفع الثاني ويسمى خبرها ، يقول سيبويه : " وزعم الخليل أنها عملت عملين الرفع والنصب ، كما عملت كان الرفع والنصب حين قلت : كَانَ أَخَاكَ زَيْدًا ، إلا أنه ليس لك أَنْ تقول : كَانَ أَخَوَكَ عَبْدَ اللَّهِ ، تريد : كَانَ عَبْدَ اللَّهِ أَخَوَكَ ، لأنها لا تَصَرَّفُ تَصَرَّفَ الأفعال ولا يضمَر فيها المرفوع كما يضمَر في كان " . ونرى أَنَّ هذه الأداة تدخل على الجملة المكونة من المبتدأ والخبر في إطار من أطر الجملة التوليدية ، فيجري التغيير في الحركة على آخره تسمى حركة اقتضاء وظيفتها إقامة خط سلامة المبنى ولا دور لها في المستوى الدلالي ، وإنما الدور للأداة نفسها إذ إنها تنقل الجملة من جملة خبرية من الضرب الأول إلى جملة خبرية طلبية ، تُقَى على سمع من هو على درجة من تردد في تقبل الخبر^٢ ، وتُسَكِّك في تصديقه .

١ الكتاب ، سيبويه ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

رصف المباني ، المالقي ، ص ١١٨ .

وقيل قد تصبها على لغة بلحارث : المغني ، ابن هشام ، ص ٥٨ .

٢ أسلوب التوكيد اللغوي في منهج وصفي تحليلي ، خليل عميرة ، ص ١٣ .

وفائدته المعنوية هو تأكيد مضمون الجملة^١ ، تأكيد نسبة الخبر للمبتدأ ،
ونفي الشك عن هذه النسبة والإنكار لها^٢ . وقد عدّ النحاة "إنّ" حرفاً ينوب عن
تكرار اللفظ^٣ .

وتأتي "إنّ" في مواقع أهمها الاستئناف أو التعليل ، أي علة لما قبلها ، كأنها
جواب عن سؤال تضمنته الجملة التي قبلها ، وهي كثيرة في القرآن الكريم وتأتي
في ختام فواصل الآي ، مثل قوله تعالى ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة
بالسوء ﴾^٤ . فالآية علة لعدم تبرئة النفس^٥ .

وجملة "إنّ" مستقلة بفائدتها ولذلك يحسن السكوت عليها ، لأنّ الجملة عبارة
عن كلّ كلام تام قائم بنفسه مقيد لمعناه ، فلا فرق بين قولك : إنّ زيداً قائمٌ ، وقولك :
زيدٌ قائمٌ ، إلّا معنى التوكيد^٦ .

لقد غلب على الآيات التي جاءت في هذا الجزء القرآني أنها وقعت في
موضع التعليل لا في موضع الاستئناف ، ويؤثر هذا في المعنى تأثيراً واضحاً ،
يضاف إلى ذلك ما نحن فيه من معالجة لتأثير (إنّ) في الجملة القرآنية وإكسابها
معنى وتأثيراً جديداً . ولبيان ذلك سنأخذ مثلاً وهو قوله تعالى ﴿ إنّ الله بالغ أمره ،

١ انظر ، الكتاب ، سيويه ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

٢ أوضح المسالك ، ابن هشام ، ج ١ ، ص ٢٤١ .

٣ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

٤ سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

٥ أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، محمد حسين أبو الفتوح ، ص ١٢٣ .

٦ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

قد جعل الله لكل شيء قَدْرًا^١؛ جاء في نظم الدرر "ولما كان ذلك أمراً [أمر التوكل على الله] لا يكاد يحيط به الوهم علله بقوله مهولاً له بالتأكيد والإظهار في موضع الإضمار : "إن الله" أي المحيط بكل كمال ، المنزه عن كل شائبة نقص^٢ ، بالغ أمره^٣ أي جميع ما يريده ، فلا بد من نفوذه سواء حصل التوكل أم لا ، وسمّاه أمراً إشارة إلى أنه مما يستحق أن يؤمر به ، وإلى أنه في سرعة الكون إذا أريد لم يتخلف بوجه ، بل يكون كالمؤتمر الحقيق للملك الجليل الكبير^٤ .

وتركيز الشارح على " لا يكاد يحيط به الوهم " في العبارة السابقة وعدد من الألفاظ الموحية بالتوكيد يشير إلى أن الأداة "إن" قد أكسبت التعبير القرآني الكريم تأثيرها الواضح ، فظهر ذلك بيناً على شرح المفسرين للقرآن ، إدراكاً ضمناً منهم أنها تؤدي هذا التوكيد ، ولذلك جاء في الكشف على قصر ما ورد عنده في شرح الآية: "إي يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب"^٢ ، فركز على (عدم إعجاز الله) في إشارة واضحة إلى الطريقة التي تؤكد بها "إن" جملتها الداخلة عليها. وفي ذلك يقول ابن المنير الإسكندري: "﴿بالغ أمره﴾ بياناً لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه"^٤ فركز على لفظة (وجوب) في إشارة منه إلى التوكيد الذي تتضمنه (إن) . والأمر عينه عند ابن عاشور في قوله: "لا تستبعدوا

^١ سورة الطلاق ، الآية ٣ .

^٢ نظم الدرر ، برهان البقاعي ، ج ٢٠ ، ص ١٥٣ .

^٣ الكشف ، الزمخشري ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .

^٤ المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٠ .

وقوع ما وعدكم الله حين ترون أسباب ذلك مفقودة ، فإن الله إذا وعد وعداً فقد أرادته ، فإذا أراد الله أمراً يسر أسبابه " ١ .

أما في قوله تعالى بالمخففة ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ٢ . فيقول ابن عاشور عنها " جملة ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ في موضع الحال من الأميين ، أي ليست نعمة إرسال هذا الرسول إليهم قاصرة على رفع النقائص عنهم وعلى تحليتهم كمال علم آيات الله وزكاة أنفسهم وتعليمهم الكتاب والحكمة ، بل هي أجل من ذلك إذ كانت منقذة لهم من ضلال مبين كانوا فيه وهو ضلال الإشراك بالله . وإنما كان ضلالاً مبيناً لأنه أفحش ضلال ، وقد قامت على شناعته دلائل قاطعة ، أي فأخرجهم من الضلال المبين إلى أفضل الهدى ، فهؤلاء هم المسلمون الذين نفروا إسلامهم وقت نزول هذه السورة . ﴿ وَإِنْ ﴾ مخففة من الثقيلة ، وهي مهملة عن العمل في اسمها وخبرها . وقد سدت مسدّها فعل (كان) كما هو غالب استعمال ﴿ وَإِنْ ﴾ المخففة . واللام في قوله ﴿ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ تسمى اللام الفارقة ، أي التي تفيد الفرق بين إن النافية و ﴿ إِنْ ﴾ المخففة من الثقيلة ، وما هي إلا اللام التي أصلها أن تقترن بخبر (إِنْ) إذ الأصل : وإنهم

١ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٨٠ .

* ويضبطها أن تقع بعد فعل اليقين أو ما نزل منزلته ، انظر معني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٤٦ .

٢ سورة الجمعة ، الآية ٢ .

لفي ضلال مبين ، لكن ذكر اللام مع المخففة واجب غالباً لئلا تلتبس بالنافية ، إلا إذا أمن اللبس "١ .

ولا يعني قوله إنها مهمة عن العمل أنها لا تؤثر في المعنى أبداً ، ولنا مثل في حروف الجر الزائدة ودليل على ذلك فهي زائدة إلا أنها تفيد التوكيد^٢ ، ثم إن بعض أدوات هذا الباب تهمل ، غير أنها تحمل معناها معها . والغريب أن المالقي لم يذكر هذا الموضع من مواضعها ، فقد حصر مواضعها بقوله : " فتدخل على الجمل الاسمية لا الفعلية ، فإن دخلت على الفعلية فلا بد من فصل بينها وبينها في الإيجاب بقّد والسين وسوف ، وفي النفي بلا ، ما لم يكن الفعل لا يتصرف ، كنعم وبئس وليس وعسى ، فلا يحتاج إلى الفصل لشبه الفعل الذي لا يتصرف بالأسماء"^٣ . إلا إن كان يعتبر جملة "كان" من الجمل الاسمية ؛ ذلك أنه قد بات من القار في الأذهان أن جمل النواسخ " تنتمي شكلاً إلى جملة الفعل والفاعل ، لكنها تنسب عمقاً وحقيقة إلى جملة المبتدأ والخبر ، وقد بدأ هذا الجمع بين اعتباري الشكل والنسبة في أن سيبويه ألحق مرفوع كان مرة بالفاعل وأخرى بالمفعول الأول مع ظن^٤ . ويكون هذا من الطبيعي إذ إن " تراكيب العربية تحفل بشيء كثير من البدائل والتوازيات والتقابلات ، مما يسمح بوجود " الوسيطيات " ؛ فهناك - مثلاً -

١ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ١٨٨ . وانظر حكم اللام في هذا الموضع في : رصف المباني ، المالقي ، ص ٢٣٥ . وللمزيد انظر ، مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٣٠٦ .

٢ انظر رصف المباني ، المالقي ، ص ١١٤ .

٣ المصدر السابق ، ص ١١٤ .

٤ الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ، محمود شرف الدين ، ص (م) .

الاسم الخالص ، والفعل الخالص ، وما هو بين بين ، والشكل التركيبي لبعض
الجملة قد يلحقها بالنمط الفعلي ، لكن نسبة ما بين عناصرها المفردة تجعلها تولي
وجهها نحو النمط الاسمي ، المفعول الأول في مجموعة " أعطى " .^١

وعليه فإن معناها التوكيد ولذلك قال الشارح السابق : (وإنما كان ضلالاً
مبيناً لأنه أفحش ضلال ، وقد قامت على شناعته دلائل قاطعة) في استخدام بعض
الألفاظ التي تلمح إلى التوكيد من مثل القاطع والأفحش .

أما اللام فقد قال فيها ابن هشام " فاللام عند سيبويه* والأكثرين لام الابتداء
أفادت - مع إفادتها توكيد النسبة وتخليص المضارع للحال - الفرق بين إن المخففة
من الثقيلة وإن النافية " .^٢

ثانياً : النمط الثاني :

الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمي المنسوخة بـ (أن) :

تكررت الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمي المنسوخة بـ (أن) في هذا
الجزء القرآني الكريم في خمسة أشكال ، وقد كان عدد الآيات القرآنية التي جاءت
في هذه الأشكال سبع آيات، تبيتها الجداول التالية :

١ الإعراب والتركيب بين الشكل والنسبة ، محمود شرف الدين ، ص ط .

* قال سيبويه : " (إن) توكيد لقوله : زيد منطلق . وإذا خفت فهي كذلك تؤكد ما يتكلم به وليثبت الكلام ، غير أن لام التوكيد
تتزمها عوضاً عما ذهب منها " . الكتاب ، سيبويه ، ج ٤ ، ص ٢٢٢ .

٢ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٠٥ .

الشكل الأول :

أنّ + اسمها (اسم ظاهر معرفة) + خبرها (مفرد نكرة اسم ظاهر)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الطلاق	١٢	لتعلموا أنّ الله على كل شيء قدير

الشكل الرابع :

أنّ + اسمها (كاف الخطاب) + خبرها (مفرد معرف بالإضافة)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الجمعة	٦	إنّ زعمتم أنّكم أولياء الله

الشكل الثاني :

باء السببية + أنّ + اسمها (ضمير الغائب المتصل) + خبرها (مفرد نكرة موصوفة)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الحشر	١٤	بأنّهم قوم لا يعقلون

الشكل الثالث :

أنّ + اسمها (ضمير الغائب المتصل) + خبرها (شبه جملة)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	المجادلة	١٨	يحسبون أنّهم على شيء
٢	الحشر	١٧	فكان عاقبتهم أنّهما في النار خالدين فيها

الشكل الرابع :

باء السببية + أن + اسمها (ضمير الغائب المتصل) + خبرها (جملة فعلية)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الحشر	٤	ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله
٢	المنافقون	٣	ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم

الشكل الخامس :

باء + أن + اسمها (ضمير الشأن - القصّة - ضمير المجهول) + خبرها (جملة كان)

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	التغابن	٦	ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات

التحليل :

اعتاد النحاة دراسة "أن" و"إن" معاً إلا في كتب الحروف^١ ، فقد تمت دراسة كل حرف منهما وحده ، واتفقوا على أنهما حرفان يدخلان على الجملة الاسمية ، فينصبان الأول ويسمى اسمهما ويرفعان الثاني ويسمى خبرهما ، ويؤكدان مضمون

١ وقد فرق النحويون ، منهم السيوطي بين "إن" و"أن" ، وملخص ذلك أن :

الكلام مع المكسورة جملة غير مؤول بمفرد ، ومع المفتوحة مؤول بمفرد كون المنطوق به جملة من كل وجه أو مفرداً من كل وجه أصل لكونه جملة من وجه ومفرد من وجه .

والمكسورة مستغنية بمعمولها عن زيادة ، والمفتوحة لا تستغني عن زيادة ، والمجرد من الزيادة أصل .
والمفتوحة تصير مكسورة بخنف ما تتعلق به ، ولا تصير المكسورة مفتوحة إلا بزيادة ، والمرجوع عليه بخنف أصل المتوصل إليه بزيادة .

والمكسورة تفيد معنى واحداً وهو التأكيد ، والمفتوحة تفيد وتعلق ما بعدها بما قبلها .

والمكسورة أشبه بالفعل إذ هي عاملة غير معمولة ، والمفتوحة عاملة ومعمول فيها .

والمكسورة مستقلة والمفتوحة كبعض اسم إذ هي وما عملت فيه بتقديره .

انظر مع الهوامع ، السيوطي ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

الجملة^١ ، وأنهما ينوبان عن تكرير اللفظ^٢ . والجملة التي تلي "أن" تؤول معها بمفرد وتصير " في مذهب المصدر المؤكد ، ولولا إرادة التأكيد لكان المصدر أحق بالموضع " ^٣ .

ويذهب محمد حسين أبو الفتوح إلى أن (أن) لا تأكيد فيها وإنما من تركيب الجملة نفسها اكتسبت أن هذا المعنى ويخلص إلى أنها واصلة ويؤيد رأيه ذلك بقوله: " أنه يلاحظ من استعمالاتها إذ تجيء بعد أفعل تدل على الظن أو الشك ، نحو: ظننت أنك مسافر ، فهل نجد في (أن) تأكيداً عندما تسبق بما يفيد الظن أو الشك ، أعتقد - والله أعلم - أن هناك تعارضاً واضحاً بين الظن أو الشك وبين التأكيد ، فالظن رجحان أحد الطرفين لا الاعتقاد بأحدهما ، والشك تساوي الطرفين فضلاً عن رجحان أحدهما على الآخر ، فكيف يتسلط الظن أو الشك لقوله تعالى ﴿ وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ ﴾ " ^٤

وفي الواقع أن ما جاء في قول أبو الفتوح من استنتاج ينفي معنى التوكيد عن "إن" استنتاج خاص لم نسمع أحداً نادى به من قبل أمّا أنه قد أفرغها لتكون واصلة

١ انظر لكتاب ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .

وانظر : شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ٥٩ . والمغني ، ابن هشام ، ص ٥٥ و ص ٥٩ . ومعجم الهوامع ، السيوطي ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

٢ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

٣ المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

٤ أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، محمد حسين أبو الفتوح ، ص ١٣٨ ، مكتبة لبنان بيروت ، ١٩٩٥ .

فقد ذكر ذلك ابن هشام في مغني اللبيب^١ ، وهو رغم ذلك لم ينف أن تكون للتأكيد أيضاً.

واستقراء الآيات الكريمة التي أدرسها يشير إلى أن ما ذهب إليه أبو الفتوح من أن هذا الحرف لا يأتي إلا بعد فعل ظن أو شك بعيد عن الصحة ، ففي آيات هذا الجزء ، وهي : ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله أحاط بكل شيء علماً﴾^٢ ، و: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ، ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله فإن الله شديد العقاب﴾^٣ ، و: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جُر ، بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾^٤ ، و: ﴿فكان عاقبتهم أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾^٥ ، و: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ، إلا إنهم هم

١ انظر مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٦٠ .

٢ سورة الطلاق ، الآية ١٢ .

٣ سورة الحشر ، الآيات ٢-٣-٤ .

٤ سورة الحشر ، الآية ١٤ .

٥ سورة الحشر ، الآية ١٧ .

الكاذبون ﴿١﴾ ، و: ﴿٢﴾ ألم يأتكم نبيّ الذين كفروا من قبل ، فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ، ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات . . . ﴿٣﴾ . لم ألاحظ أنّ قاعدة أبو الفتوح قاعدة مطّردة ثابتة ، أو أنّ تأويلها ممكن ، لذلك لا أرى ضرورة لإعطائها حيّزاً أكبر من المناقشة .

ثم إنّ التعارض واضح بين الظنّ أو الشك وبين التأكيد ، وهو تعارض ظاهريّ ، وللب المسألة النحويّة والمعنى ينفي ذلك ، إذ إنّ "أنّ" حرفٌ يحمل الوصل ، فهو بين الجملتين يربط الأولى بالثانية ؛ ولذلك فإنّ موقعه الوسط بين الجملتين يعطيه إمكانية حمل معنى التوكيد والربط ، وهذا تماماً يشبه حال حروف العطف أو الجرّ .

وسأتناول هنا بالشرح والبيان قوله تعالى ﴿٤﴾ ذلك بأنّهم آمنوا ثمّ كفروا ﴿٥﴾ . فالآية الكريمة في موقعها "جملة في موضع العلة لمضمون جملة ﴿٦﴾ واتخذوا أيمانهم جنة ﴿٧﴾" ، والإشارة إلى مضمون قوله ﴿٨﴾ إنّهم ساء ما كانوا يعملون ﴿٩﴾ ، أي سبب إقدامهم على الأعمال السيئة ، المتعجب من سوءها هو استخفافهم بالإيمان ومراجعتهم الكفر مرّة بعد أخرى ، فرسخ الكفر في أنفسهم فتجرات أنفسهم على الجرائم ، وضربت بها حتى صارت قلوبهم كالمطبوع ألاّ يخلص إليها الخير ، فقوله

١ سورة المجادلة ، الآية ١٨ .

٢ سورة التغابن ، الآية ٥-٦ .

٣ سورة المنافقون ، الآية ٣ .

٤ سورة المنافقون ، الآية ٢ .

٥ سورة المنافقون ، الآية ٢ .

﴿بأنهم آمنوا﴾ خبر عن اسم الإشارة ومعنى الباء السببية ، وثم للتراخي الرتبي ، فإن إبطال الكفر مع إظهار الإيمان أعظم من الكفر الصريح ، وإن كفرهم أرسخ فيهم من إظهار إيمانهم . ويجوز أن يراد مع ذلك التراخي في الزمن وهو المهلة ^١ .

من مجموع ذلك يمكن القول : إن "أن" في هذا السياق القرآني قد أرتنا شدة عذاب هؤلاء القوم ، والسبب في ذلك أنهم آمنوا ثم كفروا " فهم عرفوا الإيمان إذا ولكنهم اختاروا العودة إلى الكفر وما يعرف الإيمان ويعود إلى الكفر قلب فيه فقه أو تذوق أو حياة وإلا فمن ذا الذي يذوق ويعرف ويطلع على التصور الإيمانى للوجود وعلى التذوق الإيمانى للحياة ويتنفس في جو الإيمان الذكي ويحيا في نور الإيمان الوضيء ويتفيا ظلال الإيمان الندية . . . ثم يعود إلى الكفر الكالح الميت الخاوي المجدب الكنود ؟ ^٢ . ووضع "أن" قبل آمنوا في النص يشير إلى شدة إيمانهم الظاهري الذي آمنوه ، لذلك فإن عذابهم الذي كتب عليهم يستحقونه ، إذ إنهم قد كفروا بعد إيمان شديد قوي ظاهري أشار إليه الحرف "أن" .

ثالثاً : النمط الثالث :

الجملة ذات الخبر الطلبى الاسمية المنسوخة بـ (كَأَنَّ) :

تكررت الجملة ذات الخبر الطلبى الاسمية المنسوخة بـ (كَأَنَّ) في شكل

واحد ، ضم آيتين ، بيئتها الجدول الآتي :

^١ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢١٢ .

^٢ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٥٧ .

الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المثبتة المؤكدة بـ "كأن"

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المثبتة المنسوخة
١	الصف	٤	كأنهم بنيانٌ مرصوص
٢	المنافقون	٤	كأنهم خشبٌ مسندة

التحليل

كأن من أخوات "إن" ، تدخل على الجملة الاسمية تتصب المبتدأ وترفع الخبر، قال سيبويه : " وزعم الخليل أنها عملت عمليين الرفع والنصب " ، ولا يجوز تقدم خبرها على اسمها ، فينقل سيبويه عن الخليل " إلا أنه ليس لك أن تقول كأن أخوك عبد الله ، تريد كأن عبد الله أخوك ، لأنها لا تصرفُ تصرفَ الأفعال ، ولا يضمرف فيها المرفوع كما يضمرف في كان " ^٢ . وقيل فيها إنها مركبة ، يقول سيبويه : " سألت الخليل عن "كأن" فزعم أنها "إن" لحقتها الكاف التشبيهية ولكنها صارت مع إن بمنزلة كلمة واحدة " ^٣ .

وكذلك ذهب الزمخشري ، وابن يعيش " وأما كأن فحرف معناه التشبيه ، وهو مركب من كاف التشبيه و"إن" ، فأصل قولك كأن زيدا الأسد ، إن زيدا كالأسد، فالكاف هنا تشبيه صريح ، وهي في موضع الخبر تتعلق بمحذوف تقديره : إن زيدا

١ الكتاب ، سيبويه ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

٢ الكتاب ، سيبويه ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

٣ المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٥١ .

كائن كالأسد ، ثم إنهم أرادوا الاهتمام بالتشبيه الذي عقدوا عليه الجملة فأزالوا الكاف من وسط الجملة وقدموها إلى أولها لإفراط عنايتهم بالتشبيه فلما أدخلوها على "إن" وجب فتحها ؛ لأنّ المكسورة لا يقع عليها حروف الجرّ ، ولا تكون إلا أولاً^١ . ويرى المالقي أنّها بسيطة ؛ لأنّ في الأصل أن تكون الألفاظ بسيطة ، ثمّ يعلل رأيه بغير سبب ، ولكن ما نفت انتباهي هو أنّه ادعى أنّ الكاف إذا كانت داخلة على "أن" لزم أن تكون وما عملت فيه في موضع مصدر مخفوض بالكاف فترجع الجملة التامة جزء جملة^٢ ؛ لأنّ الخليل وسيبويه والزمخشري وابن يعيش ذكروا أنّها مركبة من "إن" وكاف التشبيه ، وليس من "أن" وكاف التشبيه .

وأرى أنّها مركبة من "إن" المؤكدة والكاف التي للتشبيه ، ومن هنا جاء معنى التشبيه والتأكيد ، وقد ذكر المالقي أنّها تفيد التشبيه والتوكيد " وإن كان المعنى يعطي ما يعطي التركيب من التشبيه والتوكيد الموجودين قبل التركيب "^٣ . وهذا ما يراه أيضاً الزركشي ، فقال عنها : " وهي إنّما تستعمل حيث يقوى الشبه حتى أنّ الرائي يكاد يشك في أنّ المشبه هو المشبه به . . . ولذلك قالت بلقيس ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾^٤ " . وقد ورد استخدام كأنّ للتشبيه المؤكد مرتين في سورة واحدة ، كما أثبتنا :

١ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ٨١ .

٢ رصف المباني ، المالقي ، ص ٢٨٤ .

٣ المصنر نفسه ، ص ٢٨٥ .

٤ سورة النمل ، الآية ٤٢ .

٥ البرهان ، الزركشي ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

كأنّ + اسمها ضمير الغائب المتصل + خبرها نكرة مخصصة ، ﴿كأنّهم
بنيان مرصوص﴾ ، و : ﴿كأنّهم خشب مسندة﴾ .

وأخلص من تحليل ابن يعيش لعبارة "كأنّ زيداً الأسد" إلى أنّ أصل ﴿كأنّهم
بنيان مرصوص﴾ : إنّ الذين يقاتلون في سبيل الله كبنيان مرصوص . ثمّ أضمر
الاسم الدال على الذين يقاتلون في سبيل الله لتقوّم ذكرهم ، فصارت العبارة أنّهم
كبنيان مرصوص ، ثمّ أرادوا الاهتمام بالتشبيه فأزالوا الكاف من وسط الجملة
وقدموها إلى أولها ، لإفراط عنايتهم بالتشبيه ، فلما أدخلوها على "إنّ" وجب فتحها ؛
لأنّ المكسورة لا يقع عليها حروف الجر ، ولا تكون إلّا أولاً ، كذلك الأمر في
﴿كأنّهم خشب مسندة﴾ ، ومن الإعجاز القرآني العظيم أنّ نجد استخدام كأنّ في
الجزء المدروس كان استخداماً لصورة المؤمنين مقابل صورة الكافرين .

فالتشبيهان المؤكدان الناتجان من استخدام "كأنّ" ، يرسمان صورة المجتمع المدني
في ذلك الوقت ، وهو على صنفين :

أولاً : صورة المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل الله صفّاً كأنّهم بنيان
مرصوص ، فلا يمكن للمسلمين المجاهدين أن ينتصروا إن لم يكن قتالهم صفّاً في
سبيل الله ، وما أورد من تشبيه بنيان مرصوص " بنيان تتعاون لبناته ، وتتضامن
وتتماسك وتؤدي كل لبنة دورها ، وتسدّ ثغرتّها ؛ لأنّ البنيان كله ينهار إذا تركت
فيه لبنة مكانها ، إنّه التعبير المصور للحقيقة لا للتشبيه العام المؤكد ، إنّه التعبير

المصور لطبيعة الجماعة ، ولطبيعة ارتباطات الأفراد بالجماعة ، ارتباط الشعور ، ارتباط الحركة داخل النظام"^١ ، فهذه الصورة التي للمؤمنين ترسم لهم طبيعة دينهم ، وتكشف لهم طبيعة التضامن الوثيق الذي يرسمه التعبير القرآني المبدع ، صفاء كأنهم بينان مرصوص . إذن ؛ لأن الله أراد لهذه الأمة الإسلامية الربانية التماسك الشديد والاتحاد والتضامن جاء تعبيره مستخدماً أداة التشبيه المؤكدة "كأن" ، فالوحدة في الأمة الإسلامية ضرورية حتماً ليتحقق لها النصر دوماً بإذن الله ، ولا بد من الالتزام بالجماعة ليبقى البنيان مرصوصاً ، ولو حفظت الأمة الإسلامية هذه الآية وعملت بمضمونها لما استطاعت أي قوة أن تقيرها أو تهزمها .

ثانياً : صورة المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ، والأصل فيهم أن يكونوا كالبنیان المرصوص متماسكين مترابطين مع إخوانهم المسلمين ؛ ولكنهم اختاروا التلون ليظهروا وكأنه من البنيان ، فهم كأنهم خشب مسندة ، ليست أشجاراً حية يستفاد منها ، يؤكل من ثمرها أو يستظل بظلها ، ولا هي في بناء متين يستفاد منها بل هي خشب لا تعقل ولا تفهم ولا حياة فيها ، وكذلك أهل النفاق ، فهم في ترك التفهم والاستبصار بمنزلة الخشب . وأي خشب من الخشب ؟ : الخشب المسندة التي سندت إلى حائط أو نحوه أميلت إليه ، فهي غليظة طويلة قوية ، لكنها لا نفع بها في سقف ولا مشدود بها جدار^٢ ، فانه جلّ وعلا يرسم لنا صورة فريدة مبدعة

^١ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦م ، ص ٣٥٥٥ .
^٢ التحرير والتوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢١٥ .

كثيرة السخرية والهزو والزرارية بالمنافقين ، وتسمهم بالفراغ والخواء وتتصيبهم
تمثالاً^١ ، وجاء التشبيه الساخر جداً بهم معبراً باستخدام أداة التشبيه المؤكد "كأن" ؛
توضح خلو النفع من أجسامهم المعجب بها ، ومقالهم المصغى إليه كخلو الخشب
المسندة من الفائدة .

وجملة ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾^٢ " مستأنفة استئنافاً بيانياً جواب عن سؤال
ينشأ عن وصف حسن أجسامهم وذلاقة كلامهم ، فإنه في صورة مدح فلا يناسب ما
قبله من ذمهم ، فيترقب السامع ما يرد بعد هذا الوصف ، ويجوز أن تكون حالاً من
ضمير الغيبة في قوله ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾^٣ ، ومعناه أن حسن
صورهم لا نفع فيه لأنفسهم ولا للمسلمين^٤ . ويختار صاحب كتاب " الحال في
الأسلوب القرآني " أن تكون جملة ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ في أحد الأوجه حالية من
الضمير المجرور في ﴿لَقَوْلِهِمْ﴾ أي إن تسمع لما يقولونه يبدون لك في عدم الفهم
كالخشب المنصوبة على حائط ، أي هم أشباح خالية من العلم والنظر^٥ . ويرى أبو
السعود أن جملة ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ القرآنية " في حيز الرفع على أنها خبر
مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لا محل له ، شُبَّهوا في جلوسهم في مجالس رسول

١ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، م ٦ ، ص ٣٥٦٧ .

٢ سورة المنافقون ، الآية ٤ .

٣ سورة المنافقون ، الآية ٤ .

٤ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢١٤ .

٥ حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي ، محمد القوجوي ، ج ٨ ، ص ٢٢٢ .

الحال في الأسلوب القرآني ، عبد الستار عبد اللطيف أحمد ، ص ١٥٨ .

الله ﷻ مستثنين فيها بخشب منصوبة مسندة إلى الحائط في كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير " .

ولأن ابن عاشور يرى أن جملة ﴿ كَانَهُمْ خَشَبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾ جملة استئنافية بعد جملتين ، الأولى فيهما استئنافية والثانية معطوفة عليها ، ولأن بعض النحاة يميل ميلاً قوياً إلى أن جملة "كأن" في حيز الرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف ، فإني أميل إلى اعتبار الجملة هنا جملة استئنافية منسوخة بكأن المؤكدة ، وعليه فإن المعنى المفترض لذلك يكون : إن حال الكفار أثناء رؤية الرسول ﷺ ، وأثناء حديثهم إليه يشبه حتماً الخشب المسند ، ولذلك فقد أكدت الجملة التشبيهيّة هنا كلاً من الجملتين السابقتين إضافة إلى إيضاح معنهما .

رابعاً : النمط الرابع: الجملة الاسميّة المنسوخة بـ(لكن) :

رقم سورة	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسميّة المنسوخة
١	الحشر	٦	ولكن الله يسلط رسله على من يشاء

الجملة ذات الخبر الطلبيّ الاسميّة المنسوخة المنفيّة

تكررت الجملة ذات الخبر الطلبيّ الاسميّة المنسوخة المنفيّة في هذا الجزء القرآني الكريم في نمطين، وقد كان عدد الآيات القرآنية التي جاءت على هذا النمط ثلاثاً، يبيّنها الجدول الآتي :

أولاً: النمط الأول:

١ تفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢٥٢ .

الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المثبتة بـ (لا) النافية للجنس

لا النافية للجنس + الجملة الاسمية الدالة على جواب الشرط

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المنفية
١	الممتحنة	١٠	ولا جناح عليكم أن تنكحوهن

التحليل :

تعمل "لا" النافية للجنس عمل "إن" بقلة . فتتصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها . وإنما تعمل عمل "إن" لمشايتها لها في التوكيد ، إذ إن "لا" لتوكيد النفي و"إن" لتوكيد الإثبات ^١ . وقد سميت بهذا الاسم - أو بلا التبرئة - "لأنها تبرى جنس المبتدأ بجميع أفرادهِ عن الاتصاف بالخبر" ^٢ .

ولا تعمل "لا" النافية للجنس إلا بشروط ^٣ ، هي :

١. أن تكون نافية.
٢. أن يكون المنفي هو الجنس .
٣. أن يكون نفي الجنس نصاً.
٤. ألا يدخل عليها جارّ .
٥. أن يكون اسمها* نكرة متصلاً بها .
٦. أن يكون خبرها نكرة .

١ انظر :

معنى اللبيب . ابن هشام . ص ٣١٥ . والجنى الثاني . المرادي . ص ٣٠١ . وأما ابن الحاجب . ابن الحاجب . ج ١ . ص ٤٦٨ . و

٢ المحيط في أصوات العربية . محمد الأنطاكي . ج ٢ . ص ٣٤ .

وانظر . معنى اللبيب . ابن هشام . ص ٣١٣ .

٣ انظر :

معنى اللبيب . ابن هشام . ص ٣١٣-٣١٥ . وأوضح المسالك . ابن هشام . ج ١ . ص ٣٠٦-٣٠٩ . وأسرار العربية . أبو البركات

الأنباري . ص ٢٤٩ . وشرح الأسموني . الأسموني . ج ١ . ص ١٤٩ . المقتضب . المرند . ج ٤ . ص ٣٦٣ .

* في الحقيقة إن لـ "لا" النافية للجنس أحكاماً كثيرة يطول شرحها وبيانها وأكتفي هنا بالإشارة إليها :

معنى اللبيب . ابن هشام . ص ٣١٣-٣١٥ . واللمع في العربية . ابن جني . ص ٤٤-٤٥ . وشرح الوافية . ابن الحاجب .

ص ٢٤٢-٢٤٤ . وشرح ابن عقيل . ابن عقيل . ج ١ . ص ٣٩٩-٤١١ . وشرح الأسموني . الأسموني . ج ١ . ص ١٥٣ .

- ١٥٤ . والعطف على اسم لا . فاضل السامرائي . مجلة كلية الدراسات الإسلامية . بغداد . العدد ٦ . السنة ١٩٧٤ .

ويكون اسمها مفرداً أو مضافاً أو شبيهاً بالمضاف^١ ، أمّا خبرها فقد يحذف جوازا بلغة أهل الحجاز ، ووجوباً بلغة تميم وطئ إذا دلت عليه قرينة^٢.

وسأشرح فيما يلي نموذجاً أظهر فيه أثر دخول حرف النفي الجنسي (لا) في قوله تعالى ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾^٣ ، "لقد قال الله تعالى ذلك للتبنيـه على خصوص قوله ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ لئلا يظن أن ما دفع للزوج السابق مُسَقَّطُ استحقاق المرأة المهر ممن يروم تزوجها ، ومعلوم أن نكاحها بعد استبرائها بثلاثة أقرأء^٤ " ثم نفى عنهم الجناح ، في تزوج هؤلاء المهاجرات إذا آتوهن أجورهن ؛ أي مهورهن لأن المهر أجر البضع^٥ .

في الحقيقة تستخدم "لا" الجنسية لتوكيد النفي ، وقد سميت بهذا الاسم لأنها تبرئ جنس المبتدأ بجميع أفرادهِ عن الاتصاف بالخبر . وفي هذه الآية نلاحظ كيف أنها قد أكّدت نفي جنس الإثم والمواخذة كاملاً عن المؤمنين إن تزوجوا من المؤمنات المهاجرات شرط إعطائهن أجورهن .

١ انظر ، المفصل ، الزمخشري ، ص ٩٤ . وأسرار العربية ، أبو البركات الأنباري ، ص ٢٤٦ . وتسهيل الفوائد ، ابن مالك ، ص ٦٧ . والمقتضب ، المبرد ، ج ٤ ، ص ٣٦٧ .

٢ شرح الوافية ، ابن الحاجب ، ١٨٢ - ١٨٣ . وشرح الرضي على الكافية ، الاسترأبادي ، ج ١ ، ص ٢٩٢ . وشرح الامودج في النحو ، الأرنبلي ، ص ٣٨ .

٣ سورة الممتحنة ، الآية ١٠ .

٤ التحرير والتتوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ١٤٢ .

٥ الكشاف الزمخشري ، ج ٤ ، ص ٩٣ .

وكما نلاحظ فإنّ النفي بـ"لا" الجنسية يقتضي شرطاً يتحقّق في حال ذكرها
 إنّ تقديرأ أو مذكوراً ، فلو قلنا مثلاً : لا رجل في البيت ، فإنّ ذلك يستلزم
 حتماً أنّ هذا يستلزم مروري بهذا البيت وتفتيشه وتتبع حاله ، وهذا ما
 لاحظناه في الآية .

ثانياً: النمط الثاني:

الجملة ذات الخبر الطلبي الاسمية المنسوخة المنفية بـ (لكن)
 لكن + اسمها معرفة + خبرها جملة فعلية

الرقم التسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة الاسمية المنسوخة المنفية
١	المنافقون	٦	ولكنّ المنافقين لا يفقهون
٢		٨	ولكنّ المنافقين لا يعلمون

"لكنّ" من أخوات "إنّ" تدخل على الجملة الاسمية ، تنصب الأول
ويسمى اسمها وترفع الثاني ويسمى خبرها . قال سيبويه في إنّ وأخواتها
هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها عمل الفعل فيما بعده ،
وزعم الخليل أنّها تعمل عملين الرفع والنصب ^١ . ويرى البصريون أنّها
بسيطة ، وقال الفراء إنّ أصلها "لكن+أنّ" فطرحت الهمزة للتخفيف ونون
لكن للساكنين ^٢ . وقال باقي الكوفيين : مركبة من "لا" و"إنّ" والكاف
الزائدة لا التشبيهية ، وحذفت الهمزة تخفيفاً ^٣ .

ويرى ابن فارس أنّ الهمزة حذفت استتقلاً لاجتماع ثلاثة معانٍ في
كلمة واحدة ، فـ"لا" تنفي خبراً متقدماً ، و"أنّ" تثبت خبراً متأخراً ، ولذلك
لا تكاد تجيء بعد نفي وجحد . ومما يدل على أن النون في لكنّ بمنزلة

١ الكتاب ، سيبويه ، ج ٢ ، ص ١٣١ .

٢ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٣٨٤ .

٣ المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

"إنَّ خفيفةً أو ثقيلةً أنك إذا ثقَّلتَ النون نصبت بها ، وإذا خففتها رفعت بها^١ .

وفي معناها أربعة أقوال :

١. أنها للتأكيد ، وقاله صاحب الكتاب : "ولكنَّ المتَّقلة في جميع الكلام بمنزلة إنَّ " ^٢ .

٢. أنها للاستدراك ، وقاله ابن يعيش : " ومعناها الاستدراك ، فإنَّك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك ، فتداركت خبره إنَّ سلباً أو إيجاباً ، ولا بدَّ أن يكون خبر الثاني مخالفاً لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك ، ولذلك لا تقع إلّا بين كلامين متغايرين في النفي والإيجاب " ^٣ .

١ الصاحبي ، ابن فارس ، ص ٢٦٨ .

٢ الكتاب ، سيبويه ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

٣ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ٨٠ . وانظر وصف المباني ، الماقي ، ص ٢٧٨ وانظر المغني ، ص ٣٨٣ .

٣. أنها تارة للتأكيد ، وتارة للاستدراك ، قاله ضياء الدين الإشبيلي* ١ .

٤. أنها حرف تأكيد واستدراك ، قال القرطبي : " لكن حرف تأكيد واستدراك ولا بدّ فيه من نفي وإثبات ، إنّ كان قبله نفي كان بعده إيجاب ، وإنّ كان قبله إيجاب كان بعده نفي " ٢ .

ويرى خليل عمارة أن " الذي نراه أنّ الكتلة اللغوية الواحدة [ويقصد بها لكن] تدخل على الجملة التوليدية الاسمية فتحولها إلى جملة تحويلية اسمية ، يقتضي الاسم الأول معها حركة النصب ، في عادة العرب من النطق وتفيد توكيد الجملة ، وإنّه ما من تحويل إلّا وله غرض في المعنى ٣ . فقد حاول أن يفسّر عملها وما أضفته من معنى جديد على الجملة ، واكتفى بمعنى التوكيد .

* الإشبيلي : ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن علي العلج الإشبيلي ، من نحاة الأندلس في القرن السابع ، قرأ على الشلوبين ، وكان أبو حيان ينقل عنه وكذا ابن عقيل .

١ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٨٣ .

٢ تفسير القرطبي ، القرطبي ، ج ١ ، ص ٢٠٤ . وانظر شرح الرضي الاستربادي ، ج ٤ ، ص ٣٦٩ .

٣ أسلوب التوكيد اللغوي ، خليل عمارة ، ص ٣٢ .

وقد وردت " لكن " ثلاث مرات ، جاءت في آيتين بعد الإثبات ،
وهما : ﴿وَلِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^١ ،
و: ﴿لِلّٰهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^٢ ، جاء
الخبر فيهما جملة فعلية منفية .

وجامع القول أننا لو نظرنا إلى الآية ﴿وَلِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^٣ نظرة متأملّة لرأينا قول ابن
عاشور: " " لكن " في قوله تعالى مسبوقة بأسلوب القصر ، وذلك في
تقديم المجرور في قوله ﴿وَلِلّٰهِ خَزَائِنُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ﴾ أنه لإفادة
قصر القلب ، وهو قلب لازم قولهم لا لصريحه؛ لأن
المنافقين لما قالوا لا تتفقوا على من عند رسول الله
حسبوا أنهم إذا قطعوا الإنفاق على من عند رسول

١ سورة المنافقون ، الآية ٧ .

٢ سورة المنافقون ، الآية ٨ .

٣ سورة المنافقون ، الآية ٧ .

الله لا يجد الرسول ﷺ ما ينفق منه عليهم ، فأعلم الله رسوله مباشرة وأعلمهم تبعاً بأن ما عند الله من الرزق أعظم وأوسع " ١ .

وقيل هكذا " يثبت الله المؤمنين ويقوّي قلوبهم على مواجهة خطة التجويع ، خطة المنافقين ، ويطمئنهم إلى أن خزائن الله في السماوات والأرض هي خزائن للجميع ، والذي يعطي أعداءه لا ينسى أوليائه ، فقد شاعت رحمته ألا يأخذ حتى أعداءه من عباده بالتجويع وقطع الأرزاق ، وقد علم أنهم لا يرزقون أنفسهم كثيراً ولا قليلاً لو قطع عنهم الأرزاق " ٢ .

وبالرغم من بداهة أن الله رازق الجميع نرى المنافقين يلجأون إلى خطة تجويع المؤمنين ، وهذا يدلّ على قلة فقههم للأمر ، ولذلك أكد الله عدم فقههم ذلك ، بـ " لكن " الاستدراكية التأكيدية ، لرفع ما يتوهم من أنهم حين قالوا لا تتفقوا على من عند رسول الله كانوا قالوه عن بصيرة ويقين ؛ لأنّ انقطاع إنفاقهم عن الذين يلوذون برسول الله ﷺ يقطع رزقهم فينفضّون عنه بناء على أنّ القدرة على الإنفاق منحصرة فيهم ؛ لأنهم أهل الأحوال ،

١ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٢٢ .

٢ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ج ٦ ، ص ٣٥٢٩ .

وقد غفلوا عن تعدد أسباب الغنى وأسباب الفقر ، والمعنى أنهم لا يدركون
دقائق المدركات وخفاياها " ١ .

١ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢٢٢ .

الجملة ذات الخبر الطلبي المؤكدة بحروف الجر الزائدة

تكررت الجملة القرآنية الجملة ذات الخبر الطلبي المؤكدة بحروف الجر الزائدة في هذا الجزء القرآني في نمطين اثنين ، وقد كان عدد الآيات التي جاءت على النمط الأول ثلاثاً ، أما التي جاءت على الثاني فهي اثنتان ، يبينها الجدولان التاليان :

النمط :

الجملة ذات الخبر الطلبي المؤكدة بحرف الجر (الكاف) الزائد
الكاف الزائدة

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بحرف الجر الزائد
١	الحشر	١٥	كَمِثْلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، قَرِيباً ذَاتُوا أَمْرَهُمْ
٢		١٦	كَمِثْلُ الشَّيْطَانِ
٣	الجمعة	٥	كَمِثْلُ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً

النمط :

الجملة ذات الخبر الطلبي المؤكدة بحرف الجر (من) الزائد
من الزائدة :

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بحرف الجر الزائد
١	الحشر	٦	فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
٢	المتحنة	٤	وَمَا أَمْلَأُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

التحليل :

الحروف الزائدة في اللغة العربية عديدة ، وسميت بالزوائد لأن حذفها من الكلام لا يغير معناها ولا متعلق لها ولا لمجرورها ، غير أن وجودها يزيد الكلام تثبيتاً وتوكيداً ، وتسميتها بالحروف الزائدة تسمية أطلقها البصريون ، وسموها لغواً ، وقال سيبويه عند كلامه على قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾ "وهي لغو في أنها لم تحدث إذ جاءت شيئاً لم يكن قبل أن تجيء من العمل ، وهي توكيد للكلام " ^١ . أي ليس لها أثر في الإعراب لا غير ، أما الكوفيون فيسمونها حروف صلة وحشواً ، قال ابن يعيش : " أريد بالصلة أنها زائدة ، ويعني بالزائد أن يكون دخوله كخروجه من غير إحداث معنى ، والصلة والحشو من عبارات الكوفيين " ^٢ . وهذه الحروف في أصلها وجدت لأغراض وظيفية فمثلاً : "من" وضعت للجر ولكنها في العبارة التالية "ما من أحد في الدار" زيادة معنى إضافي على الجملة هو التوكيد ، وذلك أن الزائد عند النحويين لا يؤتى به إلا للتقوية والتوكيد ، يقول الرضي : " فائدة الحروف الزائدة في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية ، فالمعنوية تأكيد المعنى ، وأما اللفظية فهي تزين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح ، ولا

١ سورة النساء ، الآية ١٥٥ . والمائدة ، الآية ١٣ .

٢ الكتاب ، سيبويه ، ج ٤ ، ص ٢٢١ .

٣ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ١٢٨ .

يجوز خلوها من الفوائد اللفظية والمعنوية معا ، وإلا لعدت عبثاً . ولا يوجد ذلك في كلام الفصحاء ، ولا سيما كلام الباري وأنبيائه وأئمة عليهم السلام ^١ .

و" قد أنكر بعضهم وقوع هذه الأحرف زوائد لغير معنى ، إذ يكون كالعيب؛ والتزويل منزّه عن ذلك ، وليس يخلو من كاره ، ذلك من أنهم لم يجدوه في اللغة ، أو لما ذكروه من المعنى ، فإن كان الأول فقد جاء منه في التزويل والشعر ما لا يحصى . . . وإن كان الثاني فليس كما ظنوا ؛ لأن قولنا "زائد" ليس المراد أنه قد دخل لغير معنى البتة . بل يزيد لضرب من التأكيد والتأكيد معنى صحيح " ^٢ .

وهناك من العلماء من رفض القول بالزيادة ، قال الزركشي : " والأكثر أن ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله " ^٣ ، ومنهم الطبري ، يقول في كتابه "جامع البيان" عن الكاف في قوله ﴿ أو كالذي مرّ على قرية ﴾ ^٤ ، فقد ردّ على من زعم أنها زائدة من البصريين بقوله : " وقد بينا قبل في ما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع " ^٥ .

١ شرح الرضي على الكافية ، الرضي ، ج ٤ ، ص ٤٣٣ .

٢ شرح المفصل ، ابن يعيش ، ج ٨ ، ص ١٢٩ .

٣ البرهان في علوم القرآن ، ج ٣ ، ص ٧٠ .

٤ سورة البقرة ، الآية ٢٥٩ .

٥ جامع البيان ، الطبري ، ج ٢٨ ، ص ٣٠٣ .

وكذلك ذهب الرازي هذا المذهب يقول في تفسيره " ﴿ ليس كمثله شيء ﴾^١ .

" حكم الله تعالى بأنّ "مثل مثله" ليس بشيء ، ولا شك أنّ كلّ شيء مثل لمثل نفسه، وثبت بهذه الآية أنّ "مثل مثله" ليس بشيء ينتج أنّه تعالى غير مسمى بشيء، فإنّ قالوا : إنّ الكاف زائدة ، قلنا : إنّ هذا الكلام معناه أنّ هذا الحرف من كلام الله تعالى لغو وعبث وباطل ، ومعلوم أنّ هذا الكلام هو الباطل ، ومتى قلنا : إنّ هذا الحرف ليس بباطل ، صارت الحجة التي ذكرناها في غاية القوة والكمال"^٢ .

ويرى ذلك أيضاً ابن الأثير يقول في "أنّ" بعد "لما" في قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾^٣ " فيرى أنّها جاءت لمعنى أنّ الفعل إنّما كان فيه تراخ وإبطاء ، وأنّ هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قدح في كلام الله تعالى " ^٤ .

ويرى الرافعي أنّ فائدة "أنّ" في الآية نفسها تصوير الفعل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه ؛ لبعد كان بين يوسف وأبيه عليهما السلام، وأنّ ذلك كان كأنه منتظر بقلق واضطراب تؤكدهما ، وتصف الطرب

١ سورة الشورى ، الآية ١١ .

٢ التفسير الكبير ، ج ١ ، ص ١١٧ .

٣ سورة يوسف ، الآية ٩٦ .

٤ المثل السائر ، ج ٣ ، ص ١٣ .

لمقدمه واستقراره ، غنة النون في هذه الكلمة الفاصلة ، وهي "أن" في قوله ﴿ أَنْ جَاءَ ﴾^١.

أما الكاف المفردة عند العرب فجارةٌ وغير جارة^٢ ، والجارّة " تكون اسماً وحرفاً " ^٣ ، فالحرفية تكون حرف جرّ يخفض " ما بعدها أبداً وتنقسم إلى قسمين : قسم تكون جارة لا يجوز زيادتها ، وقسم تكون جارة زائدة " ^٤ ، " يكون دخولها كخروجها " نحو قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾^٥ ، قال الجمهور : هي هنا زائدة لاستغناء الكلام عنها للتأكيد ، لأنّ معناها معنى "مثل" وهي لا تتعلّق بشيء ، وإنّما خفضت بالتشبيه لغير الزائدة . ولا يجوز أنْ تحمل هنا على أنّها اسم لفساد المعنى ؛ لأنّ التقدير " ليس مثلٌ مثله " فيثبت لله تعالى مثلٌ ، ويُنفى عنه مثل آخر^٦ . وقد زيدت هنا " لتوكيد نفي المثل ؛ لأنّ زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانياً ، قاله ابن جني ، ولأنّهم إذا بالغوا في نفي الفعل عن أحد قالوا : " مثلك لا يفعلُ كذا " ومرادهم إنّما هو النفي عن ذاته ، ولكنهم إذا نفوه عمّن هو على أخصّ أوصافه فقد نفوه عنه " ^٨ . وعلى العموم " تتعين الحرفية في موضعين ، أحدهما :

١ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى الرافعي ، ص ٢٢٤ .

٢ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٣٣ .

٣ معاني الحروف ، الرمانى ، ص ٤٧ .

٤ رصف المبانى ، المالقي ، ص ٢٧٢ .

٥ رصف المبانى ، المالقي ، ص ٢٧٧ .

٦ سورة الشورى ، الآية ١١ .

٧ رصف المبانى ، المالقي ، ص ٢٧٨ .

وانظر معاني الحروف ، الرمانى ، ص ٤٨ .

٨ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٣٨ .

أن تكون زائدة ، خلافاً لمن أجاز زيادة الأسماء ، والثاني : أن تقع هي ومخفوضها صلةً خلافاً لابن مالك في إجازته أن يكون مضافاً ومضافاً إليه على إضمار مبتدأ^١ .

والكاف لا تجرّ إلا الظاهر ، ولا تجرّ المضمّر إلا في الضرورة^٢ . والكاف الحرفيّة لها خمس معانٍ أحدها التوكيد ، وهي الزائدة^٣ .

أمّا الكاف في قوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ فهي زائدة للتوكيد ، وقوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ " فإنه خبر ثانٍ للمبتدأ المقدم مبين حالهم متضمن بحال أخرى لليهود ، وهي اغترارهم بمقابلة المنافقين أولاً وخيبتهم آخرأ ، وقد أجمل في النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين إلى المقدر المضاف إلى ضمير الفرقتين من غير تعيين ما أسند إليه بخصوصه ، ثقة بأن السامع يريد كل من المثلين إلى ما يماثله ، كأنه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم ، كمثل الذين من قبلهم إلخ . ومثل المنافقين في اغترائهم إياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان قال للإنسان اكفر أي أغراه على الكفر ، إغراء الأمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال إني بريء منك ، وقرئ أنا بريء منك أن أريد بالإنسان الجنس ، فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله تعالى إني أخاف الله رب العالمين ، وإن أريد

١ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٣٩ .

٢ رصف المباني ، الماقي ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

٣ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٢٣٧ .

به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول إبليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، وتبرؤه قوله يومئذ إني برئ منكم إني أرى ما لا ترون ، إني أخاف الله .^١

هذا ويمكن أن تكون " جملة ﴿ كمثل الشيطان ﴾ حال من ضمير ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ ، أي في الآخرة . والتعريف في الشيطان تعريف الجنس ، وكذلك تعريف الإنسان ، والمراد به الإنسان الكافر " .^٢

على أية حال ما يهمنا هنا هو حرف الزيادة الكاف الذي قلنا إنه يفيد التوكيد ، وقد زيدت هنا الكاف لتؤكد - لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانية - أن مثل هاتين الفرقتين من المنافقين وبني النضير كمثل الشيطان والإنسان ؛ لأن العرف أن يعمل هذا شياطين بناس كما يغوي الشيطان الإنسان ، ثم يفر منه بعد أن يورطه ، كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحرصوهم على الثبوت ووعدوهم بالنصر ، فلما نشب بنو النضير وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون في أسوأ حال .^٣

١ تفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢٣٢ .

٢ التحرير والتوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٩٨ .

٣ انظر ، المحرر الوجيز ، ابن عطية ، ج ٥ ، ص ٢٩٠ .

أما "من" المكسورة الميم في العربية "من الحروف العوامل ، وعملها
الجزر"^١ ، وتنقسم إلى قسمين : قسم لا تكون زائدة ، وقسم تكون زائدة^٢ . وتفيد
"التخصيص على العموم"^٣ ، وهي التي "قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي
الوحدة"^٤ مثل ما جاعني من رجل ، إذ يمتنع بعد دخول "من" بل رجلا وقبلها
يجوز . وتؤكد العموم "^٥ ويسميتها المالقي "لاستغراق نفي الجنس ؛ مثل ما
جاعني من أحد . والفرق بين نفي الجنس واستغراق نفيه أن التي لنفي الجنس
يحتمل ما بعدها أن ينفي مفردة اللفظي أو جنسه المعنوي ، فيحتمل أن تريد جنس
الرجال ، ويحتمل أن تريد الواحد ، والتي لاستغراقه لا تنفي إلا الجنس بكليته ولا
تبقى منه شيئا ، والفرق بين الجنس واستغراقه في الاستفهام هو الفرق بينهما في
موضع النفي ، والفرق بين الجنس واستغراقه في النهي هو الفرق بينهما في النفي
والاستفهام^٦ .

وشروط زيادتها في النوعين ثلاثة أمور :

١. تقدم نفي أو نهى أو استفهام بـ هل ، وزاد الفارسي مهما .

٢. تكثير مجرورها .

١ حروف المعاني ، الرماني ، ص ٩٧ .

٢ رصف المباني ، المالقي ، ص ٣٨٨ .

٣ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٤٢٥ .

٤ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٤٢٥ .

٥ المصدر السابق ، ص ٤٢٥ .

٦ انظر ، رصف المباني ، المالقي ، ص ٣٨٩ - ٣٩١ .

٣. كونه فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ^١ ، " إلاّ النهي فهو فيهما دون

المبتدأ^٢ " إذ لا يكون إلاّ في الفعل^٣

وهذه شروط زيادتها على مذهب جمهور البصرة ، ولكل من الأخفش

الأوسط والكوفيين رأي مخالف ، فاشتترطت الكوفة تكثير مجرورها فقط ،

وشاهدهم قول العرب "قد كان من مطر" . أمّا الأخفش فلم يشترط لزيادتها أيّ

شرط ، وشاهده قوله تعالى ﴿يُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^٤ .

أمّا زيادة "من" في قوله تعالى ﴿فَمَا أَوْجَقْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾

للتوكيد فواضح ، إذ إنّ المعنى يصلح دونها ، ولا نقصد هنا بزيادتها اللغو والعبث

في كلام الله ، وإنّما نقصد ذلك المصطلح النحويّ الذي يطلق على مثل هذه

الأحرف في هذه المواضع . ولذلك فإنّ المعنى دونها يصبح :

← فما أوجقتُم عليه خيلاً ولا ركاباً .

وبها يصبح :

← فما أوجقتُم عليه



من + التوكيد



خيلاً ولا ركاب .

١ مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

٢ رصف المباني ، الماقي ، ص ٣٨٩ .

٣ المصدر السابق ، الماقي ، ص ٣٩٠ .

٤ سورة البقرة ، الآية ٢٧٠ .

٥ انظر ، مغني اللبيب ، ابن هشام ، ص ٤٢٨ .

أي بإضافة معنى جديد على المعنى السابق هو التوكيد الذي قَدِمَها بالزيادة الحرفيّة . ولو أثبت من ذهب إلى أنّ "من" في هذا الموضع غير زائدة ، لاحترنا في اختيار معناها الذي يمكن أن تفيده في مثل هذا الآية . ولذلك فإنّ الحرف الزائد كما قيل ليس المراد أنّه قد دخل لغير معنى البتة ، بل يزداد لضرب من التأكيد على الجملة لا إعطاء الاسم الذي يليها معنى خاصاً ، والتأكيد معنى صحيح . ويصبح معنى الآية " أنّ الغنيمة ما أتعبتم أنفسكم في تحصيلها وأوجفتم عليها الخيل والركاب بخلاف الفيء فإنكم ما تحملتم في تحصيله تعباً فكان الأمر فيه مفوضاً إلى الرسول يضعه حيث يشاء " .^١ أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف . . . والمعنى ما قطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ، ولا قتالاً شديداً ، وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشياً وما كان فيهم راكباً إلا النبي عليه الصلاة والسلام ، فافتتحها صلحاً من غير أن يجري بينهم مسابقة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكدّ اليمين وعرق الجبين^٢ .

^١ تفسير فخر الرازي ، الرازي ، ج ٢٩ ، ص ٢٨٥ .

^٢ تفسير أبي السعود ، أبو السعود ، ج ٨ ، ص ٢٢٧ .

الجملة ذات الخبر الطلبي المثبتة المؤكدة بـ (أل) التعريف

تكررت الجمل القرآنية المكتسبية بـ أل التعريف الجنسية التوكيدية في هذا الجزء القرآني في خمسة أنماط ، وقد كان عدد الآيات التي جاءت على النمط الأول عشر آيات ، أما التي جاءت على الثاني فهي ست ، أما التي جاءت على النمط الثالث فهي واحدة ، وأما التي جاءت على النمط الرابع فواحدة ، وأما التي جاءت على النمط الخامس فتلاث عشرة آية . يبيتها جميعاً الجداول التالية :

النمط الأول :

المبتدأ (ضمير الغائب) + الخبر (المعرف بـ "أل")

الشكل الأول :

المبتدأ معرفة (ضمير الغائب الجمع المنفصل) + الخبر معرفة بـ أل

التعريف

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" - القصر
١	المنافقون	٤	هُمِ الْعَدُوُّ

الشكل الثاني :

المبتدأ معرفة (ضمير الغائب المفرد) + الخبر معرف بـ "أل" التعريف

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" - القصر
١	الحشر	٢٢	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
٢	الحشر	٢٣	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

الشكل الثالث :

المبتدأ معرفة (ضمير الغائب المفرد) + الخبر مفرد معرف بـ أل متعدد

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" - القصر
١	الحشر	١	وهو العزيز الحكيم
٢		٢٢	هو الرحمن الرحيم
٣		٢٤	هو الله الخالق البارئ المصور
٤		٢٤	وهو العزيز الحكيم
٥	الصف	١	وهو العزيز الحكيم
٦	الجمعة	٣	وهو العزيز الحكيم
٧	التحریم	٢	وهو العليم الحكيم

النمط الثاني :

المبتدأ معرفة + الخبر اسم موصول

الشكل الأول :

المبتدأ معرفة (ضمير الغائب) + الخبر (اسم موصول)

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" - القصر
١	الحشر	٢	هو الذي أخرج الذين كفروا
٢	الصف	٩	هو الذي أرسل رسوله بالهدى
٣	الجمعة	٢	هو الذي بعث في الأميين رسولا
٤	المنافقون	٧	هم الذين يقولون
٥	التغابن	٢	هو الذي خلقكم

الشكل الثاني :

المبتدأ معرفة (لفظ الجلالة) + الخبر معرفة اسم موصول

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" "القصر"
١	الطلاق	١٢	الله الذي خلق سبع سموات

النمط الثالث :

المبتدأ معرفة (اسم ظاهر معرفة) + الخبر معرفة بالإضافة

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" "القصر"
١	الجمعة	١١	والله خير الرازقين

النمط الرابع :

المبتدأ معرفة ضمير المتكلم + الخبر مفرد معرفة

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" "القصر"
١	الصف	١٤	نحن أنصارُ الله

النمط الخامس :

المبتدأ (اسم إشارة) + الخبر (اسم ظاهر معرف بالإضافة)

الرقم المتسلسل	السورة	رقم الآية	صورة الجملة المؤكدة بـ "أل" "القصر"
١	المجادلة	٤	وتلك حدود الله
٢		١٧	أولئك أصحاب النار
٣		١٩	أولئك حزب الشيطان
٤		٢٢	أولئك حزب الله
٥	الحشر	١٧	وذلك جزاء الظالمين
٦	الممتحنة	١٠	فلکم حکم الله

٧	الصف	١٢	ذلك الفوز العظيم
٨	الجمعة	٤	ذلك فضل الله
٩	التغابن	٩	ذلك يوم التغابن
١٠		٩	ذلك الفوز العظيم
١١		١٠	أولئك أصحاب النار
١٢	الطلاق	١	وتلك حدود الله
١٣		٥	ذلك أمر الله

التحليل :

تفيد (أل) التعريف معنى القصر والتوكيد كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجرجاني ، بشروط نستخلصها من حديثه في الفرق بين الخبر ؛ عند حديثه عن جملة " أنت الحبيب " :

١. أن يكون المبتدأ ضميراً* أو علماً* أو اسم إشارة* أو اسماً موصولاً* كما في الآيات السابقة .

٢. يلي المبتدأ اسم معرف بـ" أل " التعريف الجنسية بنوعيتها ؛ التي لاستغراق خصائص الأفراد ، أو لتعريف الماهية ، يكون صفة للمبتدأ كمثالي الجرجاني : "أنت الحبيب" ، و"أنت الشجاع" .

- ١ انظر دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ص ١٧٧ - ١٩٨ .
- * هذا الاستنتاج مأخوذ من مثال عبد القاهر الجرجاني : " أنت الحبيب " .
- * هذا الاستنتاج مأخوذ من مثال عبد القاهر الجرجاني : " زيد المنطلق " .
- * هذا الاستنتاج مأخوذ من مثال أورده الدكتور على الحمد ، في بحثه الموسوم بـ بناء الجملة في شعر ذي الرمة ، ص ٢٣١
- فيذا الحديث يا امرأ القيس فأتركي
بلا تميم ، والحقي بالرساتي
- وعلق بعده قائلاً : " والتوكيد بأداة التعريف " أل " صورة من صور التوكيد " . المرجع السابق ، ص ٢٣٢ .
- * هذا الاستنتاج مأخوذ من قول يحيى بن حمزة اليمني : " وأما على جهة الحصر كقوله تعالى ﴿ الله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً ﴾ أي الله المرسل ، ومعناه أنه لا مرسل سواه " . الطراز ، يحيى بن حمزة اليمني ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ .

٣. ألا يتقدّم الخبر على المبتدأ .

٤. تقيّد - أل التعريف - أن صاحبها قد كملت فيه هذه الصفة ، ففي "أنت

الحبيب" ، أي لا حبيب في الدنيا إلا أنت . "أنت الشجاع" ، لا شجاع في

الدنيا إلا أنت . مع مراعاة أن يرجح ذلك الكمال إلى من هي صفة له ، لا

أن تستغرقه دون سواء حسب ما قال الجرجاني ، أو أنها ليست له بالحقيقة

وإنما هي صفة لا بسببه وتعلّقت به تعلّق الفعل بالمفعول .

وأن يراعى تقييد المقترن بـ(أل) غير الجنسية بالحال أو الوقت كقولك :

هو الوفي حين لا تظنّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

ويضاف إلى ذلك : " أل التعريف المسبوقة غالباً بضمير الفصل أو

العماد" ، فلهذا الضمير عند الجمهور وظيفتان هما :

١. الفصل : وهو تمييز الخبر أو ما أصله خبر ، من التابع .

٢. التأكيد : فاستعمال هذا الضمير يعادل استعمال إحدى كلمات التأكيد

المعنوي^٢ .

١ أساليب التأكيد في اللغة العربية ، إلياس حبيب ، ٥٨ .

٢ المرجع السابق ، ص ٧١-٧٢ .

أما المفسرون فقد شرحوا مثلاً قوله تعالى ﴿ هُمْ الْعَدُوُّ ﴾ بقولهم : " هم العدو أي الكاملون في العداوة ، لأن أعدى الأعداء العدو المداجي الذي يكاشرك ، وتحت ضلوعه الداء الدوي ، فاحذرهم ولا تغترّ بظاهرهم "¹

" والتعريف في ﴿ العدو ﴾ تعريف الجنس الدال على معيّن كمال حقيقة العدو فيهم ؛ لأن أعدى الأعادي العدو المتظاهر بالموالاة وهو مداح ، وتحت ضلوعه الداء الدوي ، وعلى هذا المعنى رتب عليه الأمر بالحنز منهم
والمراد الحنز من الاغترار بظواهرهم الخلابة لئلا يخلص المسلمون إليهم بسرهم ، ولا يتقبلوا نصائحهم خشية المكائد والخطاب للنبي ﷺ "² .

وكما هو بين من شرح بعض المفسرين لهذا الجزء من الآية الكريمة يظهر لنا كيف أن بعض المفسرين قد لامسوا الوجه الذي تكون عليه "أل" التعريف في مثل هذه المواقع الإبلاغية البلاغية . فقد ركز كل من صاحب الكشف وصاحب التحرير على استخدام ألفاظ تستغرق الجنس أولاً ، من مثل : أعدى الأعداء ، أو أعدى الأعادي أو الكاملون في العداوة ، ثم إنهما لمسا فيها التوكيد حين قالوا أعدى الأعادي أو أعدى الأعداء أو احذرهم ولا تغترّ بظاهرهم . وعلى العموم فإن "أل" في هذه الجملة الاستثنائية التي تبعت قوله تعالى ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ لا تدلّ إلا على رغبة الله سبحانه من رسوله ﷺ والمسلمين في أن يستغرقوا كامل

¹ الكشف ، الزمخشري ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

² التحرير والتوير ، ابن عاشور ، ج ٢٨ ، ص ٢١٦ .

جنس الأعداء بالحنر والحيلة التامين أبدأ ، فهم في أصل تكوينهم جبنااء يخافون
من أيّ صيحة ، فإن كان حالهم كذلك ، فالأولي والواجب الأكيد أن يتيقن المسلم
من أنهم الأعداء الحقيقيون .